

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٧٣ صفر ١٤٣٩هـ

بين العدوان الإيراني والعبث الأمريكي تضيع الأوطان

المحتويات



فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراسات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة



رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٧٣)
صفر / ١٤٣٩هـ

www.alrased.net
info@alrased.net

بين العدوان الإيراني والعبث الأمريكي تضيع الأوطان

منذ وصول الخميني لسدة الحكم في طهران في مطلع عام (١٩٧٩م) وهو يشن عدوانًا عسكريًا على الدول السنية المجاورة، تحت شعارات مختلفة: «تصدير الثورة»، «نصرة المستضعفين»، «تحرير القدس»، «الموت لأمريكا وإسرائيل».

◘ **وقد تجسد هذا العدوان في المظاهر التالية:**

● **خوض الخميني حربًا ضد العراق في (١٩٨٠)، استمرت (٨) سنوات**، رفض فيها كل مبادرات الصلح بحجة أن الطريق إلى القدس يمر بكربلاء، حتى استسلم للهزيمة، وأعلن تجرّعه السم بقبول وقف الحرب!

● **دعمت طهران محاولة الانقلاب الشيعية الفاشلة في البحرين؛** والتي قام بها التيار الشيرازي الذي لا يؤمن بولاية الفقيه!

● **تأسيس الحرس الثوري الإيراني لحزب الله اللبناني في (١٩٨٣)؛** والذي سيدير لاحقًا العديد من العمليات الإرهابية في الدول العربية.

● **مهاجمة (٤) طائرات إيرانية للمنشآت النفطية السعودية في الدمام سنة (١٩٨٤)**، وقد تم إسقاط طائرتين منها.

● **وفي (١٩٨٤) اختطف الشيعة من حزب الله اللبناني والكويتي طائرة كويتية**، وأعادوا الكرّة سنة (١٩٨٨)، وقاموا بعدة تفجيرات في الكويت في سنوات (١٩٨٣ و١٩٨٥ و١٩٨٧ و١٩٨٨)، كما تم استهداف أمير الكويت بمحاولة اغتيال في سنة (١٩٨٥).

● **تم استهداف الحجاج في مكة بعمليات تفجير عدة مرات:** في (١٩٨٦) ضبطت المتفجرات في المطار، وفي (١٩٨٧) قام الحجاج الإيرانيون بحجة «البراءة من المشركين» بمسيرات وأعمال شغب، وفي (١٩٨٩) قام حزب الله الشيعي الكويتي بتفجيرين في مكة في موسم الحج، وفي (١٩٩٠) أطلق الشيعة غازات سامة على الحجاج في نفق المعيصم.

بعد وفاة الخميني مالت إيران إلى شيء من التهدئة؛ لتلتقط أنفاسها، وتعيد ترتيب أوراقها، وفعلًا مرّ عقد التسعينيات بدون أعمال عسكرية معلنة.

◘ **لكن لم تخلُ هذه المرحلة من التأسيس لأعمال إرهابية عدوانية:**

■ **فتمّ تكوين الخلايا الإرهابية النائمة؛** كما تبين في خلية العبدلي بالكويت، وعدة خلايا بالبحرين، وتخزين متفجرات في الأردن!

■ **وتم تحويل عدد من الجماعات الشيعية في العالم لتكوّن مليشيات طائفية مسلحة؛** كحزب الله اللبناني والحوثيين في اليمن، والفاطميين في أفغانستان.

ومع احتلال العراق في (٢٠٠٣) من قِبل أمريكا وإيران تسارعت وتيرة إيران في إنشاء الميلشيات الشيعية الطائفية من جهة، والهيمنة على الأحزاب الشيعية السياسية من جهة أخرى؛ حتى أصبح العراق مأسورًا لها.

ومع ثورات الربيع العربي حاولت إيران أن تستولي على البحرين عبر مظاهرات دوار اللؤلؤة في (٢٠١١)، ولما قامت الثورة السورية تصدّت لها إيران بكل حزم، وجلبت لمقاومتها كل الميلشيات الشيعية في العالم التي أسستها في العقد الماضي، ومن ثم حرضت الحوثيين على الانقلاب على الدولة في اليمن في (٢٠١٤).

هذه أبرز المحطات العدوانية للمشروع الشيعي الإيراني على دول الجوار السنية، وهناك غيرها الكثير، فضلًا عن جرائمها بحق شعبها الإيراني نفسه كجرائمها بحق الأحواز الشيعة العرب، أو بحق البلوش السنة وغيرهم من القوميات، وفي كثير من هذه المحطات كان هناك تقاطع مصالح وتعاون بين إيران وروسيا في تنفيذ هذه الجرائم العدوانية الإرهابية.

وفي مقابل هذا العدوان الإيراني كان هناك عبث أمريكي في التعاطي مع العدوان الإيراني من جهة وفي عرقلة دولنا عن حماية نفسها من هذا العدوان الإيراني.

فمِن صفقة إيران كونترا (إيران جيت) التي عقدتها إدارة ريغان سنة (١٩٨٥) مع إيران لتزويدها بصواريخ مقابل الإفراج عن (٥) أمريكيين محتجزين في لبنان، وأمريكا تعبث بهذا الملف بطريقة تمنع العرب من الانتصار على إيران أو القضاء على قدرتها العدوانية، وفي المقابل لا تسمح لإيران بالتغول التام والنصر الكامل، بل كانت أمريكا تدير الصراع ليبقى ويستمر، وهو ما ساهم في إطالة أمد الحرب العراقية الإيرانية الأولى.

وبرغم تعرض أمريكا وحلفائها لعمليات إرهابية إيرانية وشيعية في لبنان فقد سمحت أمريكا وإسرائيل ببقاء القوة الشيعية الإيرانية في لبنان بل والنمو والتطور، بينما تم استباحة لبنان بالكامل واحتلال بيروت عام (١٩٨٢) لإجلاء المقاتلين الفلسطينيين من لبنان!

وقد كان لسياسة أمريكا بتسليم العراق لإيران نتائج كارثية على المنطقة؛ عبر تفكيك الجيش العراقي، وإقرار دستور تفتيتي للعراق، واعتماد محاصصة غير عادلة ولا موضوعية همشت السنة وأعلت من حجم ودور الشيعة بشكل منحاز.

وإذا جئنا لتلاعب وعبث الأمريكان في عرقلة قمع الإرهاب الشيعي؛ فسنجد أنها تسمح للمعارضين الشيعة الإرهابيين بفتح دكاكين لحقوق الإنسان على أراضيها تندد بقمع السلطات الخليجية للشيعة! وتتسابق الهيئات الحقوقية والإعلامية الغربية لنصرة الإرهابيين الشيعة، في مسعى واضح لبقاء الأزمة مشتعلة والأوضاع متوترة، وتوفير حجة للتدخل الغربي والضغط على السلطات القائمة.

ولعل في عدم إدراج حزب الله والحرس الثوري والحوثيين وكثير من الميليشيات الشيعية الإرهابية على قوائم الإرهاب لحد الآن -برغم كل جرائمهم!- مؤشر واضح على الانتهازية والعبث الذي يقوم به الأمريكان وغيرهم تجاه المشروع الشيعي الإرهابي.

وفي الموقف الأمريكي المستاء من تدخل درع الجزيرة في البحرين في (٢٠١١) لوقف الانقلاب الإيراني، وأيضًا من عرقلة التحالف الإسلامي ضد الحوثيين؛ حيث تتكرر الاتهامات الحقوقية والأممية لقوات التحالف في الوقت الذي تغض الطرف فيه عن الانقلابيين وجرائمهم الإرهابية، رغم منعهم وصول المساعدات الأممية وغيرها، واعتداءاتهم على ممثلي الأمم المتحدة!

لقد كان سلوك إدارة أوباما في غاية التخبط -سواء كان مقصودًا أو غير مقصود- في إدارة ملف المفاوضات النووية مع إيران؛ حيث حرصت فيها على تغييب دول المنطقة عن مجرياتها، ومن ثم قدمت من خلالها قبلة الحياة لنظام الملالي بضخّ المليارات له بعد حصاره المالي بخفض أسعار البترول بقيادة السعودية!

أما سياسة العبث الأمريكية؛ فالتجلي النموذجي لها هو ساحة العراق وسوريا؛ حيث سُمح للميلشيات الشيعية من كل أنحاء العالم بالتوافد إليها، كما سمح للقاعدة وداعش بالتمدد فيها، وأعلنت أمريكا أن مقاومة داعش تحتاج (٣٠) عامًا!!

وفي مرحلة ترامب نسمع خطابًا أمريكيًّا متشددًا مع إيران، لكن لم نر بعد نتائج وحقائق على الأرض، وهو أعلن عن إستراتيجية جديدة مع إيران لا ندري مدى جديتها وفائدتها!

هذا العبث الأمريكي لم ينتج عنه إلا حقيقة واحدة هي: أن أكبر حلفاء أمريكا في المنطقة (مصر، تركيا، السعودية، الأردن) ذهبوا صوب روسيا حليفة إيران للضغط على أمريكا في بعض الملفات!

قادة المنطقة يدركون خطر المشروع الشيعي الإيراني من قديم؛ فقد حذر ملك الأردن عبد الله الثاني من مشروع الهلال الشيعي في المنطقة في نهاية عام (٢٠٠٤)، وكشف الرئيس المصري السابق مبارك عن أن ولاء شيعة المنطقة هو لإيران في عام (٢٠٠٦)، وانتظروا أن تتصدى أمريكا لهذا المشروع دون نتيجة، ولذلك كانت مبادرتهم في إنقاذ البحرين سنة (٢٠١١) واليمن (٢٠١٤) خطوة بالاتجاه الصحيح، وتصحيحًا لخطأ ضياع العراق (٢٠٠٣).

ويجب أن تتواصل المبادرات الذاتية لمقاومة وصدّ هذا المشروع، وعدم الركون لتصريحات ترامب من جهة، وتحسين أداء هذه المبادرات بما يحقق مقصدها وتجنب الوقوع في فخ المحاصرة لها، ومنعها من حسم الأمر، وإجبارها على مفاوضات سياسية تسعى لترسيخ أذرع إيران بيننا، وحماية المشروع الإيراني من السقوط أو الخروج عن مسار تهديد دول الجوار ضمن سقف يحددونه هم؛ لتبقى دولنا في دوامة قلق وتوتر مستمر؛ تعطل نهضتنا وتقدمنا!

حكاية جماعات العنف
من الانحراف إلى فكر الخوارج (٥)

أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر؛ لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة!

وهذه طبيعة الضلال والانحراف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أوّلها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع؛ حتى تصير أذرعًا، وأميالًا، وفراسخ!»[1]، وهذا واقعٌ في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود؛ حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها، بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرِّر تشكيلها!

في هذه السلسلة سنتناول: العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال، ومن ثم مسار تطورها التاريخي، ومسار تطور انحرافها الفكري، والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخّمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية.

وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات هو: منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة)؛ التي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير، مما ولَّد مناخًا مأزومًا، وظهرت فيه ردَّات فعل عنيفة، عُرفت بـ (جماعات الجهاد).

أولًا: الساحة المصرية

٥- الجماعة الإسلامية بين العنف والمراجعات

مرّ معنا أن الجماعة الإسلامية بدأت كلجان طلابية تتبع إدارة الجامعات باسم «الجماعة الدينية»، ضمن سياسة الرئيس السادات الرامية لمحاصرة التيار اليساري في الجامعات المصرية، وقد كان أفراد جماعة الإخوان في السجون.

وكان هؤلاء الشباب ثمرة الجهود الدعوية للعلماء المستقلين، ومن الأزهر، أو للجمعيات الإسلامية؛ كأنصار السنة، والجمعية الشرعية، وغيرها.

ويبدو أن البداية كانت مع المهندس صلاح هاشم، الذي دخل جامعة أسيوط سنة (١٩٧٢)، والذي تمكّن لاحقا من قيادة

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/٤٢٥).

الجماعة الدينية بدلًا من موظفي الجامعة[1]، وحدث مثل ذلك في جامعات أخرى، ولكون سياسة السادات دعمت النشاط الإسلامي فقد تمددت هذه النشاطات بسرعة، ولقيت الدعم من الإدارات الجامعية؛ سواء عبر توفير الدعم والإمكانات للمخيمات الدعوية والمهرجانات والمحاضرات وبقية الأنشطة، أو عبر قبول مطالب الجماعة الإسلامية بمحاربة الاختلاط وفصل الطلبة في المدرجات والأماكن العامة وحظر الحفلات الغنائية وعرض الأفلام السينمائية في الجامعات!

ومن ثم خاضت الجماعة الإسلامية بجامعة أسيوط الانتخابات الطلابية سنة (١٩٧٨)، وفازت بجميع المقاعد، وكان قد تولى قيادة الجماعة -خلفًا لصلاح هاشم- ناجح إبراهيم، الذي انطلق بالجماعة لخارج أسوار الجامعة والاحتكاك بالمجتمع.

وأصبح هناك رابطة بين هذه الجماعات الدينية المتعددة في الجامعات، وسيكون لهم صلة بقيادات الإخوان الخارجة من السجون، والتي ستعمل في بعض الجامعات تحت اسم «الجماعة الإسلامية»، ومن ثم سيكون هناك انشقاق بين هذه الجماعات وقياداتها، وبعضها سيتحول إلى جماعة الإخوان، مثل: عصام العريان وعبد المنعم أبو الفتوح وحلمي الجزار وأبو العلا ماضي وغيرهم، وسيستخدمون اسم الجماعة الإسلامية مدة من الزمن، لكن سيكون شعار الإخوان «الله أكبر والحمد لله» موجودًا على بياناتهم، بينما القسم الثالث سيستخدم شعار «لا إله إلا الله محمد رسول الله»[2].

والبعض الآخر بجامعة الإسكندرية سيُعرف لاحقًا باسم «الدعوة السلفية»، مثل: محمد إسماعيل المقدم وأحمد فريد وسعيد عبد العظيم ومحمد عبد الفتاح وياسر برهامي وأحمد حطيبة.

(١) انظر: شهادة صلاح هاشم في كتاب «شاهد على وقف العنف»، عبد اللطيف المناوي، أطلس للنشر، (ص٢٧).

(٢) «الإسلام السياسي» (ص١٩٧).

وقسم ثالث سيحتفظ باسم «الجماعة الإسلامية»، وهم: مجموعة أسيوط والمنيا؛ كرم زهدي وناجح إبراهيم وعاصم عبد الماجد، وسيتّحدون مع تنظيم الجهاد (محمد فرج، وجماعة سالم الرحال بقيادة كمال حبيب)، ويقوم بعملية اغتيال السادات، ولكن في السجن لاحقًا سينفصلان عن بعضهما البعض، ويأخذ كل منهما طريقه الخاص[3].

ومع أخذ الجماعة منحى التطرف والغلو وفكر العنف لجأت لتمويل أنشطتها من خلال مهاجمة محلات الذهب الخاصة بالأقباط؛ حيث قامت بعدد من هذه الهجمات سنة (١٩٨٠)، والتي كُشف دور الجماعة فيها لاحقًا بعد اغتيال السادات[4].

وعلى غرار ما سبق من تنظيمات سابقة تكونت الجماعة من طلبة جامعيين غير مؤهلين شرعيًّا للتصدر لقيادة المجتمع، فاتخذت الجماعة الشيخ عمر عبد الرحمن مفتيًا لها[5].

وبعد أن تورطت الجماعة في العنف وشاركت في اغتيال السادات، ومن ثم التمرد في أسيوط، وسُجنت قياداتها؛ دخلت الجماعة مرحلة جديدة تمثلت في الخلاف والصدام مع تنظيم الجهاد، فتم الانفصال بينهما! وبعدها تورطت الجماعة بأعمال عنف وإرهاب استهدفت فيها رجال الأمن والسياسة وضرب السياحة،

(٣) «اختلاف الإسلاميين»، أحمد سالم، (ص٢٦).

(٤) «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٤٥)، «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص١٦)، «الجماعة الإسلامية في جامعات مصر»، بدر محمد بدر، وهو يعبر عن رؤية جماعة الإخوان لها، «تجربتي مع الإخوان»، د. السيد عبد الستار، (ص١٢٤)، وهو يقدم شهادة شخصية متوازنة، «الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة»، د. سعد الدين صالح، (ص٢٧٢)، وفيه يعرض (٤) مراحل مرت بها الجماعة الإسلامية.

(٥) «الإسلام السياسي في مصر» (ص١٥١)، «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٥٤)، «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص١٨)، ثم أصبح الشيخ عمر مفتيا للجماعة الإسلامية عقب الانفصال عن تنظيم الجهاد.

وكان لجماعة الجهاد -أيضًا- وبعض الجماعات الأخرى مشاركة في دائرة الفوضى والتفجيرات والاغتيالات، فدخلت مصر في دوامة رهيبة من العنف والفوضى!

وبعد ذلك بعدة سنوات تمت مراجعة فكر ومنهج الجماعة ومسارها العملي، وخلصت لمراجعة شاملة تخلت فيها الجماعة عن العنف، وأعلنت ندمها وخطأها، وبعد الثورة المصرية خرجت القيادات من السجون وشاركت في العملية السياسية السلمية، ولا تزال الجماعة تتبنى هذا الخط والخيار.

هذه المحطات هي ما سنستعرضه بشيء من التفصيل.

◄ الصراع في السجن مع الشركاء بتنظيم الجهاد:

كانت الجماعة الإسلامية قد تفاهمت مع تنظيم الجهاد قبل اغتيال السادات على بقاء كل جهة تعمل على طريقتها في الدعوة؛ فالجماعة الإسلامية تنتهج الدعوة العلنية، بينما يعتمد تنظيم الجهاد العمل السري، وبعد القبض عليهم وبدء محاكمتهم التي استمرت (٣) سنوات كانت فرصة للقيادات في الجماعة الإسلامية للاجتماع والتفرغ لكتابة أفكارهم ومنطلقاتهم، إذ لم يكن للجماعة هيكل تنظيمي محدد ولا فكر مدوّن ومحدد قبل اغتيال السادات.

فصدرت من السجن -كما حدث مع سيد قطب!- كتبهم المعتمدة: «ميثاق العمل الإسلامي، حكم قتال الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام، حتمية المواجهة»، وهي من إنتاج شباب جامعي غير مؤهل علميًّا!! والتي تم التراجع عن كثير مما فيها لاحقًا في مرحلة المراجعات، وصدر كتاب «أصناف الحكم والحكام»، و«كلمة حق» للشيخ عمر عبد الرحمن؛ مفتي الجماعة بعد الانفصال عن تنظيم الجهاد[1].

(١) «الإسلام السياسي في مصر»، هالة مصطفى، (ص١٦٢).

ومما دفع هذه القيادات الشبابية لتدوين فكرها اعتقادهم بأنهم سيُعدمون، وأنّ عليهم ترك فكرهم للجيل التالي من الجماعة! وتمحور فكرهم في ما دوّنوه من كتب على تكفير الحاكم الذي يحكم بالقوانين الوضعية باعتباره مبدلًا للشريعة، وعدم جواز دخول البرلمانات على اعتبار أن ذلك يعدّ نوعًا من الشرك والتشريع من دون الله ﷻ، ووجوب قتال الطائفة /السلطة الممتنعة عن تطبيق الشريعة، وتغيير المنكر باليد (بالعنف) لعامة الناس، وعذر الناس بالجهل من الوقوع في الكفر؛ بخلاف الغلاة الذين لا يعذرون بالجهل[2].

وقد تصدى السلفيون لفكرهم المنحرف؛ والذي ثبت انحرافه عن صحيح الدين، وثبت تسببه بمظالم ومفاسد كثيرة على الإسلام والمسلمين والدولة، باعترافهم هم أنفسهم في مراجعاتهم! وقد عبّر أحد رموز تيار الجهاد عن قوة تأثير السلفيين في التصدي للعنف والتطرف في تلك المرحلة؛ فقال: «**ولكن العامل الأخطر في تعويق الإسلام الثوري هو**: اختراقه بواسطة السلفيين المدرسيين»[3].

بعد صدور الأحكام وتبرئة بعض الشخصيات، مثل: الشيخ عمر عبد الرحمن، وخروجه من السجن، وخروج أصحاب الأحكام القصيرة التي انتهت مع انتهاء المحاكمة التي استمرت (٣) سنوات؛ وقع جدل حول من يقود التنظيم الآن؟ فانحاز قادة الجماعة الإسلامية للشيخ عمر عبد الرحمن، بينما انحازت جماعة الجهاد لعبّود الزمر، وذلك بعد إعدام محمد عبد السلام فرج، ونشأ خلاف عُرف باسم (ولاية الضرير والأسير)! وعلى قضية العذر بالجهل؛ حيث كانت الجماعة تعذر بالجهل ولا تكفّر المعين، بينما لا

(٢) المصدر السابق، (ص١٦٣).

(٣) المصدر السابق، (ص١٧٨).

يعذر تنظيم الجهاد بالجهل، وانفصل التحالف، وسار كل منهما في طريقه، وكانت الأكثرية مع الجماعة الإسلامية[1].

◄ **مسيرة الجماعة بعد محاكمة قتلة السادات:**

يبدو أن الجماعة في السجن خططت للمستقبل؛ من خلال توجيه الأفراد الذين تم الإفراج عنهم على دفعات على النحو التالي: من حُكم عليه بالسجن بثلاث سنوات وخرج في سنة (١٩٨٤) كُلّف بنشر فكر الجماعة الذي كُتب في السجن، والأفراد الذين حُكم عليهم بخمس سنوات كُلّفوا ببناء هيكل تنظيمي للجماعة، والأفراد الذين حكموا بسبع سنوات كُلّفوا بتأسيس جناح عسكري للجماعة؛ بحيث في عام (١٩٨٨) تمتلك الجماعة قوة عسكرية![2]

وفعلًا؛ بعد خروج الشيخ عمر عبد الرحمن سنة (١٩٨٤) -والذي اتخذته الجماعة أميرًا لها- قام بجهد كبير في نشر فكر الجماعة والدعوة لها في ربوع مصر، وقد مال لعدم المصادمة مع الأمن؛ برغم مضايقات الأمن له ولشباب الجماعة، ثم سُمح له بأداء العمرة، ومن هناك سافر لباكستان وأفغانستان والتقى بقادة الجماعات المتطرفة والقائمة على العنف، وسافر للسودان ومن هناك استخرج تأشيرة لدخول أمريكا سنة (١٩٩٠م)؛ فأقام فيها مدة ثم لُفقت له تهم إرهابية، سُجن على إثرها هناك من سنة (١٩٩٣)[3] وحتى وفاته سنة (٢٠١٧)، وقد سمح بدفنه في مصر.

وقد كان لرفاعي طه دور كبير في البناء الثاني للجماعة من عام (١٩٨٤)، وكان يلقب بالناظر كناية عن دوره المركزي[4]، وفي هذه المرحلة شاركت الجماعة في الانتخابات الطلابية، وعَقدت العديد من المؤتمرات السياسية في الجامعات والنقابات، وركزت على تقوية جهازها الإعلامي، لكنها رفضت دخول انتخابات البرلمان سنتي (١٩٨٧ و١٩٩٠) لأنها اعتبرته مخالفًا للشريعة، وتصادمت مع جماعة الإخوان بسبب ذلك[5].

من اللافت أن عبود الزمر وطارق الزمر وبعض أتباعهم انفصلوا بعد عدة سنوات عن جماعة الجهاد في السجن وخارج السجن، وانضموا للجماعة الإسلامية، وأصبح عبود في مجلس شورى الجماعة[6].

◄ **بدء العنف المسلح عند الجماعة من جديد:**

أخذت طريقة الجماعة بتغيير المنكر باليد تتطور لدى بعض قيادات الخارج والشباب نحو العنف شيئًا فشيئًا، فالإطار النظري متوفر وجاهز، وممارسات النظام تغذي هذا العنف؛ من خلال اعتماد التعذيب والظلم والتعدي، وكذلك ساهمت طبيعة أعضاء التنظيم في محافظات الصعيد وأسيوط الميالة بطبيعتها للصدام والعراك، وكان للسماح لعدد من قادتها بالسفر لأفغانستان دور في رفع اعتمادية العنف لدى الجماعة؛ حيث أعادت بعض الروابط مع تنظيم الجهاد والتعرف على تنظيمات أخرى هناك، وأصدرت من هناك مجلة «المرابطون».

ومنذ سنة (١٩٨٦) بدأت تتصاعد الصدامات بين شباب الجماعة وقوات الشرطة، وبقيت حتى إعلان وقف العمليات العسكرية من قيادة السجون سنة (١٩٩٧)، وقد سقط في هذه العمليات كثير من الأبرياء من المارّة؛ بخلاف رجال الشرطة والساسة والسياح الذين استهدفتهم العمليات[7].

(١) «اختلاف الإسلاميين»، أحمد سالم، (ص١٠٦)، «الإسلام السياسي» (ص٢٧٤)، «الجماعات الإسلامية والعنف»، سعود المولى، مركز المسبار، (ص٦٣٦).

(٢) «الجماعات الإسلامية والعنف»، سعود المولى، (ص٦٥٥)، وهو ينقل ذلك فيما يبدو عن سلوى العوا في كتابها «الجماعة الإسلامية المسلحة»، وكتاب محمد أبو عطية وهو من الجماعة الإسلامية وأنجز عنها رسالة ماجستير.

(٣) «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص٢٠٦).

(٤) «مراجعات الجهاديين»، عبد المنعم منيب، مكتبة مدبولي، (ص٩).

(٥) «الإسلام السياسي» (ص٢٧٥).

(٦) «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص١٨٠).

(٧) المصدر السابق، (ص١٤٦)، «الإسلام السياسي» (ص٢٦٧).

ومـن أبـرز عمليـات العنـف المـسلح التـي قامـت بهـا الجماعة: محاولة اغتيال وزير الداخلية زكي بدر، سنة (١٩٨٩)، وقد قامت الشرطة باغتيال الناطق الإعلامي للجماعة د. علاء محيي الـدين، سـنة (١٩٩٠)، ممـا رفـع وتـيرة العنـف؛ حيـث أصـدرت الجماعــة بيانًـا بعنــوان: «آن الأوان ليــسكت الكــلام، ويــتكلم الرصاص»[١]، وقد رافق ذلك عـودة بعـض القـادة مـن أفغانـستان؛ حيـث تـولى طلعـت فـؤاد قيـادة الجماعـة[٢]، وهنـا تـصاعد عنفهـا؛ فحاولت اغتيال الرئيس حسني مبارك عدة مرات، أهمها في أثيوبيا سنة (١٩٩٥)[٣]، واستهدفت عددًا من قـادة الأمـن ورموز النظام بعملياتها، كما هاجمت عدة مرات السياح الأجانب في مصر.

ويبـدو أن عنـف قيـادة الخـارج لم يكـن برضـا قيـادة السجون، ولما وقعت أخطاء ضـخمة في هـذه العمليات الإرهابيـة قام قـادة الجماعـة في الـسجن باسـتنكارها في رسـائل علنيـة، بـل قـام القادة في السجن بعقد محاكمة لأحـد قـادة الجماعـة الـذين تـسببوا في تنفيذ عملية إرهابية متطرفة؛ لِما وقع فيها من أخطاء فادحة[٤].

في نفس الوقت ثمة عمليات إرهابية لكـن مـن تنفيـذ جماعـة الجهاد، أو تنظيم التوقف والتبيّن والمشتهر إعلاميًّا بـ «النـاجون مـن النـار»، وهـم انـشقاق عـن تنظـيم الجهـاد[٥]، أو الـشوقيين، وهـم شطحة عن جماعة التوقف والتبين![٦]

ويلزم الباحث عدم خلط عمليات كل تنظيم بغيره، وإن كانت الحصة الأكبر للجماعة الإسلامية[٧].

وقـد تـسببت العمليـات الإرهابيـة للجماعـة الإسـلامية بـأضرار كبـيرة، تمثلـت بقتـل العـشرات مـن الأبريـاء، والإضرار بالاقتـصاد المـصري، وزعزعـة أمنـه واسـتقراره، كـما أنهـا تـسبّبت باعتقـال مـا يقـرب مـن (٣٠) ألفًـا مـن شـباب الجماعـة الإسـلامية والشباب الملتزم، والتضييق على الدعوة الإسلامية بعامة[٨].

لقد كانت هذه العمليات من الكثافة والكثرة حتـى وصـلت لدرجـة أن متوسـط نـسبة العمليـات الإرهابيـة هـو: وقـوع عمـل إرهابي ينتج عنه قتيـل وجـريح واحـد يوميًّـا، مما أدى لنفـور شـعبي تجاه الجماعة[٩].

◄ إعادة الجماعة النظر بمسار العنف:

في هـذه المرحلـة كانـت الجماعـة تـسير في مـسارين متناقضين: ففي السجن كانت هناك عملية مراجعة وإعـادة تقيـيم لمسيرة الجماعة ومستقبلها، وقد كانت نظرة القيادة في السجن تتوجه باتجـاه التـصالح مـع النظـام؛ ولـذلك بعـد تيقنهـا مـن فـشل خيـار الصدام قامـت قيـادة الجماعـة عـبر (٢٠) سـنة بتقـديم (١٥) مبـادرة للتصالح مع النظام، تم رفضها جميعًا[١٠]، آخرها كـان البيـان الـذي تـلاه أحـد القيـادات أمـام الـصحفيين في قاعـة المحكمـة في (٥/ ٧/ ١٩٩٧)، وأعلـن فيـه وقـف جميـع العمليـات المسلحة داخـل مـصر وخارجها[١١]، لأن قيادة الـسجن كانـت مـصرّة عـلى ضرورة وقـف العنف وتغيير مسار الجماعة نحـو الـسلمية؛ بعـد تفـاقم الأذى عـلى

---

(١) «اختلاف الإسلاميين» (ص١٠٦).

(٢) «الجماعات الإسلامية والعنف» (ص٦٥٤).

(٣) بحسب محامي مصطفى حمزة القيادي العسكري للجماعة تمت (١٢) محاولة اغتيال لمبارك:

http://www.elwatannews.com/news/details/٥٣٩٢٦

(٤) «الجماعات الإسلامية والعنف» (ص٦٥٦).

(٥) «دليل الحركات الإسلامية المصرية» (ص١٥٨).

(٦) المصدر السابق، (ص١٦١).

(٧) «الإسلام السياسي في مصر» (ص١٦٧)، «شاهد على وقف العنف» (ص٧٨).

(٨) «الجماعات الإسلامية والعنف» (ص٦٦٢).

(٩) «شاهد على وقف العنف» (ص٤٢).

(١٠) المصدر السابق، (ص٨٣).

(١١) «الجماعـات الإسـلامية والعنـف» (ص٦٦١)، «الجماعـات الإسـلامية المـصرية المتشددة» (ص٥٧).

الجماعة وأفرادها دون نتيجة أو مؤشر على ضعف النظام! وأيضًا بسبب معارضتها لمسار العنف الذي يتعمق لدى قيادة الخارج.

ورداً على هذا التوجه لقيادة السجون قام جناح من قيادة الخارج -رافضٌ لمسار المراجعة ووقف العنف والتصالح- بتنفيذ عملية إرهابية ضخمة، عرفت باسم «عملية الأقصر»، واستهدفت سياحًا أجانب في الأقصر، قُتل فيها (٥٨) سائحًا؛ وذلك بعد (٤) شهور من مبادرة وقف العنف! وقد أصدر رفاعي طه -رئيس شورى الخارج- بيانًا تبنّى فيه العملية، فردّ عليه أسامة رشدي -الناطق باسم الجماعة في الخارج من هولندا- بنفي مسؤولية الجماعة عنها وإدانتها، وأنها تصرف ذاتي من منفذيها وليست بقرار مؤسسي[1].

واشتعل الجدل والخلاف داخل الجماعة؛ حتى توافق القادة جميعًا على دعم مبادرة العنف: القادة التاريخيون في السجن، والشيخ عمر عبد الرحمن -من سجنه بأمريكا[2]-، ومصطفى حمزة -المسؤول العسكري من إيران-، ورفاعي طه -رئيس مجلس شورى الخارج-.

وعلى عكس توجه قيادة السجون كانت قيادة الخارج تتّجه للتعاون والتحالف مرة أخرى مع تنظيم الجهاد؛ الذين التقوا به مرة أخرى في أفغانستان، والانخراط في مزيد من العنف، وقد تجسد ذلك في قبول إعلان «الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين»؛ حيث وقّع رفاعي طه عن الجماعة انضمامها لها في (١٨/٢/١٩٩٨).

لكن قيادة الجماعة طلبت منه التراجع عن ذلك، وفعلاً تنصّل رفاعي طه من موافقته على الجبهة في موقع «المرابطون»[3]، وبعد عدة أشهر صدرت تصريحات من قادة السجون والشيخ عمر عبد الرحمن هاجموا الجبهة، ودعوا لاعتماد جبهة سلمية في الدعوة والنشاط الإسلامي، وقد تسبب هذا الضغط على قيادة الخارج باستقالة كلّ من أسامة رشدي ورفاعي طه ومحمد شوقي الإسلامبولي من مجلس الشورى بالخارج[4].

◄ تطور مبادرة نبذ العنف:

في حوار لكرم زهدي مع مكرّم محمد -رئيس تحرير مجلة «المصور»- لخّص تاريخ المراجعات لدى الجماعة؛ فقال: «لقد بدأنا التفكير فيها بعد أحداث (١٩٨١)، وكنّا نريد الصلح مع مؤسسات الدولة، وكانت هناك محاولة منذ عام (١٩٨٨) بعدما عرض الشيخ الشعراوي رحمه الله التدخل؛ حيث استأذن كبار المسئولين في الدولة للحديث مع القادة، الذين وافقوا وسعِدوا بذلك، ولكن إخوة في جماعات أخرى خالفوا وقطعوا الطريق على هذه الوساطة، بهروب عصام القمري؛ الذي أجهض مبادرة الجماعة لإعلان وقف العنف.

وفي عام (١٩٩٣) بادرت الجماعة الإسلامية إلى مراسلة الحكماء والعقلاء والمفكرين؛ الذين سارعوا لتشكيل لجنة الوساطة، ولكن هذه المحاولة فشلت، لأن هناك من تحرك لإفسادها!

وكانت هناك محاولات أخرى، لأن الموقف عليه شبه إجماع، ولكنها لم تتم، فقررت الجماعة الإسلامية إعلان هذه المبادرة على الملأ في (يوليو ٩٨).

واستمرت الأمور ما بين شد وجذب بين الجماعة والحكومة المصرية؛ حتى صدرت المراجعات الأخيرة في شكل

(١) «شاهد على وقف العنف» (ص٩٢).

(٢) المصدر السابق، (ص١٢٢).

(٣) المصدر السابق، (ص٩٥).

(٤) «الجماعات الإسلامية والعنف» (ص٦٦٠)، «مراجعات الجهاديين» (ص٢٥)، «شاهد على وقف العنف» (ص٩٢).

أربعة كتب». ا. هـ[(١)]

لقد كانت بداية المبادرة بالإعلان الذي تم في (١٩٩٧/٧/٥) من قيادة السجون، والتي لم تكترث لها الدولة في حينها، ثم بالضغط على مجلس شورى الخارج لتأييد ذلك ببيان جديد صدر في (١٩٩٩/٣/٢٨)، وقد قوبلت المبادرة بتشكيك من الأمن وكثير من الساسة، وأنها مناورة وخداع، ولكن ثبات القادة على مراجعتهم والتنديد بعملية الأقصر وغيرها، والصبر سنوات على رؤيتهم؛ فتحت نافذة في جدار الرفض الرسمي للحوار مع الإرهاب.

واليوم يؤكد ثبات القيادة التاريخية للجماعة على سلميتها؛ برغم كل الصدامات في مصر جدية الجماعة في تحولها.

بينما اعتبرت بعض الجهات الإسلامية وبعض قيادات الجماعة (مبادرة وقف العنف) خيانة وعمالة للأمن، وهزيمة نفسية ناتجة عن أزمة السجن وحبّ الدنيا[(٢)].

وفي المقابل؛ طلب القادة التاريخيون من الدولة التوقف عن التعذيب، والتوقف عن تجديد التوقيف بحجة قانون الطوارئ، والإفراج عمّن أنهى محكوميته، وعدم أخذ النساء رهائن للضغط على أفراد الجماعة، وعدم اقتحام المساجد، والسماح لهم بالدعوة[(٣)].

ولما بدأ الأمن يشعر بجدية الموضوع -بعد عدة سنوات- سمح للقيادات التاريخية في (٢٠٠٢) بجولات على السجون للقاء الشباب وأعضاء الجماعة لإقناعهم بالمبادرة ونبذ الغلو، وقد كانت نتائج ذلك إيجابية.

ثم قامت قيادة الجماعة في السجون بإصدار (٤) كتب تراجع فيها أفكارها السابقة؛ وذلك في (٢٠٠٢)، وعُرضت في معرض القاهرة للكتاب، حيث ناقشت فيها ضرورة التزام فقه الموازنات والمصالح والمفاسد تجاه نهجها في العمليات العسكرية، وأنها لا تحقق المصالح المرجوة، وتراجعوا عن قضية إنكار المنكرات بالقوة، وتبيين ما وقع في (الجهاد) من أخطاء يجب الإقلاع عنها، وخطورة الغلو والتطرف والتكفير[(٤)].

وصدرت بعدها عدة كتب أخرى، وبدأت بعدها عمليات الإفراج عمّن أتمّ محكوميته.

كان لعبود وطارق الزمر اعتراضات على طريقة وأسلوب التفاهم مع النظام بخصوص المبادرة؛ إذ كانا يطمحان لرفع سقف مكاسب الجماعة منها، وليس اعتراضًا على أصل المبادرة، ولذلك قام الأمن بعزل عبود وطارق الزمر عن بقية القادة ونقلهم لسجن آخر، وتأخير خروجهم عدة سنوات، ثم أصدر طارق الزمر كتابه «مراجعات لا تراجعات»؛ والتي حاول فيه أن يصحح المفاهيم السابقة، بخلاف القادة التاريخيين الذين أدانوا مفاهيمهم السابقة! ولكن طارق يعترف بخطأ قراءته وبقية القادة للواقع آنذاك، مما تسبب بأضرار عبر اتخاذ وسائل وأساليب غير مناسبة وهي: العنف![(٥)]

◄ خلاصة المراجعات:

لخص كرم زهدي في مقابلة مع عبد اللطيف المناوي الخبرة الحركية من التجربة؛ فقال: «بعد أن هدأت الأحداث وسكنت عاصفة عام (١٩٨١)؛ أدركنا أنا وإخواني حقيقة المؤامرة

(١) ttp://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:rRktQhKUw١wJ:www.maghress.com/attajdid/١٢٤٩٦+&cd=٦&hl=en&ct=clnk&gl=jo

(٢) «شاهد على وقف العنف» (ص١٠١)، «مراجعات الجهاديين» (ص٣٣).

(٣) «الجماعات الإسلامية والعنف» (ص٦٦١)، «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٦١).

(٤) «مراجعات الجهاديين» (ص٢٦).

(٥) «التنظيم والتنظير تنظيم الجهاد وشبكة القاعدة»، عبد المنعم منيب، (ص١٥٧).

التي حيكت لنا بمكر ودهاء شديدين! تمكن اليساريون من خلالها من ضرب الحركة الإسلامية من جهة، وضرب السادات خصمهم اللدود من جهة أخرى... وذلك بإيقاع الفتنة بين شباب الجماعة الإسلامية وبين قيادة الدولة ممثلة في الرئيس السادات، وباستخدام أسلوب التحريض المستمر، وإشعال النيران والنفخ فيها، وتشويه سمعة السادات وعائلته؛ بنشر الشائعات المتلاحقة ... استطاعوا بذلك الأسلوب الرخيص أن يوقعوا الفتنة التامة ويؤججوها حتى وقعت أحداث (٨١)...

الخلاصة: أننا أدركنا تمامًا ما كان من أمر تلك المؤامرة الخبيثة، ومما زاد من قناعتنا بهذا الأمر أنه بلغنا وقتها أن أحد المحامين اليساريين قال في اجتماع لهم: لقد تخلصنا الآن من السادات، وبقي أن نسعى إلى إعدام أكبر عدد من الجماعات الإسلامية في هذه القضية؛ حتى تشتعل النار من جديد بينهم وبين النظام الحاكم، وبهذا نكون ضربنا عصفورين بحجر».

وبخصوص الخبرة عن المنهج الصحيح للعمل الإسلامي يقول في نفس المقابلة: «البديل الشرعي الصحيح لعمليات العنف التي كانت تحدث هو: الدعوة السلمية، وتقديم النصيحة لحكام المسلمين، وقول الحق بطريقة سلمية وبأسلوب مقبول وطيب، فإذا استجيب لمطالبنا فللّه الحمد والمنة، ونقدم لهم الشكر على ذلك، وإن لم يستجيبوا فخيارنا الصبر على الأذى»[1].

◄ مرحلة ما بعد السجن[2]:

عاشت الجماعة بعد الخروج من السجن مرحلة كمون تقريبًا، فلم يكن لهم كبير نشاط إلا بالتنسيق مع الأمن، وبقي الأمر على هذا الحال حتى قيام الثورة المصرية في (٢٠١١/٢/٢٥)، حيث شارك بعض أفراد الجماعة لكن بشكل فردي؛ حتى لا تتحمل الجماعة تبعات ذلك.

◄ ما بعد الثورة المصرية:

ولما تمت تنحية مبارك قام المجلس العسكري بالإفراج عن عبود وطارق الزمر، وهنا أصبح هناك تمايز بين القادة التاريخيين ككرم زهدي وأسامة حافظ وناجح إبراهيم؛ الذين بقوا مصرّين على مبادرتهم السلمية والمبالغة فيها، وبين بعض القيادات العسكرية سابقًا في الجماعة؛ الذين لا تزال لديهم حماسة وتهور مثل: عصام دربالة وصفوت عبد الغني وطارق الزمر؛ والذين يعتقدون أن قيادة الجماعة انحرفت!

فعقدت انتخابات مجلس شورى الجماعة بعد الثورة المصرية في (٢٠١١)، وتم الإطاحة بكرم زهدي ورفاقه، واعتلاء عصام دربالة قيادة الجماعة، مما أشعل الصراعات والخلافات داخل أروقة الجماعة، واستقال على إثرها ناجح إبراهيم وكرم زهدي، وتكونت جبهة إصلاح الجماعة الإسلامية.

وقد ساعدت جماعة الإخوان الجماعة الإسلامية على تأسيس حزبها «حزب البناء والتنمية» في سنة (٢٠١١)، وشارك في أول انتخابات لمجلس الشعب بعد الثورة، وحصل على (١٩) مقعدًا من خلال تحالفه مع حزب النور، بعد فشل تحالفه مع الإخوان المسلمين؛ الذين عَرضوا عليهم مقعدًا واحدًا فقط!

ولما تم عزل الرئيس مرسي شاركت الجماعة وحزبها في تحالف الشرعية مع الإخوان، وكان لعاصم عبد الماجد وطارق الزمر تصريحات متطرفة على منصّة رابعة، وقد تسبب ذلك بوقوع بعض حوادث عنف من أعضاء بالجماعة، واتهمت جبهةُ إصلاح الجماعة طارق الزمر بالتخطيط لعمليات عنف في مصر، وقد هرب عاصم عبد الماجد وطارق الزمر من مصر، وبقوا في تحالف مع الإخوان المسلمين، ثم انقلب عاصم على الإخوان -وإن بقي خارج مصر-.

وانقلاب عبد الماجد على الإخوان برّر بتعالي الإخوان الدائم على شركائهم، وتحكمهم في تمويل ودعم الجماعة، ووجود مؤشرات على نية الإخوان عقد صفقة مع النظام قد تكون على حساب شركائها، وقد كَشفت صراعاتُ الإخوان عن وجود مثل هذا التوجه وأصدرت الجماعة الإسلامية بيانًا بخصوص ذلك وتأثيره على تحالف

---

(١) «شاهد على وقف العنف» (ص٢٤٤، ٢٥٦).

(٢) مصادر هذه المعلومات ممّا نشر عن الجماعة في شبكة الإنترنت.

الشرعية!

بينما أعلن عبود الزمر عن تخطئته للإخوان المسلمين، وإصرارهم على عودة مرسي، ودعاهم للمصالحة مع الدولة، كما أرسل رسالة تحذير لعصام دربالة -أمير الجماعة؛ الذي يصرّ على التحالف مع الإخوان-، قال فيها: «إن إصراركم على الاستمرار في «التحالف» يهدم كيانًا عمره أكثر من أربعين عامًا، ويقضي على طموح أبنائه، ولن تكون نتيجته إلا ضياع الحركة الإسلامية».

ولكن السلطات الأمنية قامت باعتقال عصام دربالة في (٥/ ٢٠١٥)، مما دعا عبود الزمر لطلب الإفراج عنه مقابل انسحاب حزب الجماعة «البناء والتنمية» من تحالف «دعم الشرعية» الذي يقوده الإخوان، وعدم ممارسة السياسة، والاكتفاء بالعمل الدعوي للجماعة، لكن السلطات لم تستجب لذلك، وبقي دربالة مسجونًا حتى توفي بعد (٤) شهور في السجن بسبب مرضه وعدم معالجته، وتم تعيين أسامة حافظ رئيسًا لمجلس الشورى مؤقتًا بصفته نائب الرئيس.

وقد حصل صراع على موقع الرئيس؛ فصفوت عبد الغني -من جناح التشدد والمسجون من (٢٠١٤) لكونه مؤيدًا للرئيس مرسي[1]- طلب عدم إجراء انتخابات المجلس إلا بعد إطلاق سراحه؛ لرغبته برئاسة الجماعة وعدم تركها للتيار الآخر، فيما كثير من أعضاء الجماعة يحثون كرم زهدي للعودة للقيادة حتى لا تتشدد الدولة تجاههم.

وقد رفض أسامة حافظ الانزلاق لمسار العنف من جديد؛ حيث حذر جماعة الإخوان عقب توليه قيادة مجلس الشورى من العنف ورفض (بيان نداء الكنانة)؛ الذي أصدره عدد من العلماء والهيئات من دول متعددة تأييدًا للرئيس مرسي؛ حيث علّق على البيان بقوله: «مثل هذه البيانات تلقى هكذا بين الشباب المتحمس المندفع هو أمر خطير! يستمدون منها مشروعية القتل».

وقد جاء مقتل رفاعي طه بغارة أمريكية في سوريا في (٤/ ٢٠١٦)؛ حيث كان هناك لإتمام مصالحة بين تنظيم النصرة (القاعدة) وحركة أحرار الشام بحسب بيان الجماعة؛ ليؤشر على وجود قيادات -خاصة العسكرية منها- في الجماعة لا يزال لها توجه نحو التطرف أو العنف.

وعقب مهاجمة إبراهيم منير -أمين التنظيم الدولي لجماعة (الإخوان المسلمين)- الجماعة الإسلامية أمام مجلس العموم البريطاني في (٦/ ٢٠١٦)، طالب عاصم عبد الماجد وعبود الزمر قيادة الجماعة بالانسحاب من تحالف دعم الشرعية؛ الذي لم يبق فيه إلا الإخوان والجماعة الإسلامية فقط! وإن كان التحالف في حكم الميت لعدم وجود فعاليات مشتركة له!

وفي تحرك غريب لا تُعرف دوافعه: هل هي جس نبض أو نوع من التحدي والعناد؟! قام حزب الجماعة في (٨/ ٢٠١٧) بانتخاب طارق الزمر رئيسًا له، رغم تواجده خارج مصر، وردّت السلطات على ذلك باتهام طارق في التورط بعمليات إرهابية، اضطرته لإعلان استقالته من الرئاسة والحزب؛ لتجنيبه الحل والإغلاق، وقد كان لأسامة حافظ دور في ذلك، وتم انتخاب محمد تيسير -أمين الحزب بالقاهرة- رئيسًا للحزب.

◄ خاتمة:

تراوحت المسيرة بين عاطفة الشباب ونقص العلم؛ فتورطت في العنف، ووقعت في مكيدة الأعداء، ولما أنضجت التجربة وزادت خبرتهم مالوا للمراجعات، وكان غالبيتهم صادقين فيها، وفي السجن كتبوا فكرهم المتطرف، وفي السجن -أيضا- كتبوا مراجعاتهم، وفي الحالين كان نقص العلم وعدم التأهيل العلمي الشرعي يورطهم في بعض الأخطاء، لكن أخطاء التطرف كانت أكثر بكثير!

من هنا؛ لما زادت مساحة الحرية القصيرة -عقب إزاحة مبارك- انقلب بعض القيادات على مراجعاته، وتسبب مرة أخرى بكوارث وتضييقات على نفسه وإخوانه وجماعته.

وتبقى الخلاصة الثابتة في مسيرة الجماعة وغيرها من تنظيمات العنف: قلة العلم باب للتهور وجلب المصائب، وهدم مسار الدعوة وبذل الخير.

---

(١) تم الإفراج عنه في (١٠/ ٤/ ٢٠١٧).

ثورات الخوارج (١٣):
ظهور الأزارقة، وبداية خروجهم

هيثم الكسواني - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

تحَدثنا في الحلقة الماضية عن مفارقة الخوارج لخليفة المسلمين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، بعد أن وجدوا أنه لا يشاركهم الرأي فيما يتعلّق بالصحابة رضي الله عنهم؛ فقد طلبوا منه التبرّؤ من خيرة الصحابة وخلفاء المسلمين وعددٍ من المبشرين بالجنة؛ كأبيه الزبير وعثمان وعلي وطلحة وعائشة أم المؤمنين، رضي الله عنهم؛ كشرط لاستمرارهم في نصرته، وقتال الجيش الأموي الذي جاء إلى ابن الزبير في مكة محارِبًا ومحاصِرًا.

لكن ابن الزبير أوضح لهم رأيَه في الصحابة بكل صراحة ووضوح، رغم حاجته إلى دعمهم ضد الجيش الأموي، فتفرقوا عنه، وتركوه، وكما يقول الإمام ابن كثير: «وفارَقوه، وقصدوا بلاد العراق وخراسان؛ فتفرقوا فيها بأبدانهم، وأديانهم، ومذاهبهم، ومسالكهم المختلفة المنتشرة؛ التي لا تنضبط ولا تنحصر، لأنها مفرعة على الجهل وقوة النفوس، والاعتقاد الفاسد»[١].

وبعد مفارقتهم لعبد الله بن الزبير في مكة، توجّهت مجموعة منهم إلى البصرة، وأمّروا عليهم نافع بن الأزرق، في حين ذهب آخرون إلى اليمامة.

ويبدو أن توجّه المجموعة الأولى إلى البصرة كان بفعل الظروف المستجدّة آنذاك، والمتمثلة بضعف سلطة واليها عبيد الله ابن زياد، بعد وفاة الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، سنة (٦٤هـ)، وتفرّق البيت الأموي الحاكم، وابن زياد -كما هو معروف- كان فيما سبق قد أذاق الخوارج الأمرّين، لكن في ظل الوضع الجديد «لم يعُد بإمكانه ولا من مصلحته القيام بحملات اعتقال ضدّ أي كان؛ لأن ذلك سيزيد في اضطراب الأوضاع بالمِصر في وقت كان يسعى فيه جاهدًا إلى ضمان الهدوء»[٢].

ويَذكر بعض المؤرّخين أن نافع بن الأزرق كان في بادئ الأمر على رأي شيخ الخوارج أبي بلال مرداس بن أديّة في تحريم الاستعراض[٣] وقتل الناس؛ إلاّ أن أحد مجتهدي الخوارج -وهو أبو الوازع الراسبي- استطاع التأثير فيه، وأن يحسّن له الخروج على السلطان[٤]، وبالفعل جمع نافع أصحابَه، وتوجّه بهم في (شوال من سنة ٦٤هـ) نحو الأهواز[٥].

(١) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧٠٤).

(٢) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٠٩).

(٣) استعرض القوم، أي: قَتَلَهُم، ولم يُبالِ بِمَن قتل، وقد كان من منهج الخوارج الإباضية الطلب من الناس: عرض معتقدهم لفحصه؛ وإذا تبين مخالفته لهم كفّروهم وقتلوهم! وهو ما يصنعه الدواعش اليوم.

(٤) أبو العباس المبرِّد، «الكامل في اللغة والأدب» (ص٥٩٥)، د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٣٩).

(٥) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٣٩).
والأهواز: إقليم عربي مجاور للبصرة، محتل الآن مِن قِبل إيران.

ويعود اختيار الأهواز (يُقال لها - أيضًا -: الأحواز) من قِبل الخوارج؛ لتكون مركزًا لهم إلى الأهمية الاقتصادية والإستراتيجية للمنطقة، وثرائها، وقربها من البصرة، بحيث أن السيطرة على الأهواز تسمح لهم بتهديد البصرة، وفرض حصار عليها واقتحامها عند الحاجة[1].

وهناك - في الأهواز - تمكّن الخوارج من طرد عمّال السلطان، وجباية الخراج؛ يتقوون به، ويشكل لهم مصدر دخل مهمًّا - كما فعل تنظيم داعش في عصرنا الحاضر حين سيطر على مناطق النفط وباعَه لمصلحته -.

أما في البصرة؛ فقد توجّس أهلها من الخوارج، لا سيما وأن سيطرة الخوارج على الأهواز أدّت إلى تراجع أوضاعهم الاقتصادية، لأن جزءًا من عطائهم كان يأتي من الأهواز[2].

وصمّم أهل البصرة على تنحية خلافاتهم القبلية ومحاربة الخوارج، وهو ما يأتي تجسيدًا للسياسة التي سنّها الأمويون منذ وقت مبكر؛ بإشراك القبائل والأهالي بمحاربة الخوارج، وقد كرّر ذلك بنجاحٍ جيش الإسلام في غوطة دمشق، فمنع الدواعش من دخولها، ولذلك صمدت مقاومة الغوطة لليوم؛ بخلاف المناطق التي تهاونت مع خوارج العصر (الدواعش)؛ فسقطت ودمّرت بعد انسحاب الدواعش منها بشكل مفاجئ عقب عقد صفقات مشبوهة.

وحين توجّه نافع بأصحابه نحو البصرة اصطلح أهلها على تولية عبد الله بن الحارث؛ الذي أرسل إلى الأزارقة مسلم بن عُبيس فطاردهم، حتى قرية دولاب - من أرض الأهواز -، فخرج له نافع، وهناك «دارت رحى معركة عنيفة! اقتتلوا فيها حتى تكسرت الرماح في أيديهم، وكثرت الجراح في العساكر، وانجلت الموقعة عن مقتل أمير أهل البصرة ابن عُبيس، وأمير الخوارج نافع بن الأزرق، وذلك في (جمادى الثانية من سنة ٦٥هـ)»[3].

لم يُنهِ موت نافع فكر هذه الفئة من الخوارج ولا وجودها، فاختارت عبيد الله بن الماحوز أميرًا عليها، وواصلت الخروج وقتل الناس، وبثّ شرورها في المجتمع، ويمكن القول: إن نافع والأزارقة شكلوا النسخة الأكثر تشددًا وتطرفًا وهمجيةً من الخوارج.

وإذا أردنا أن نتحدث عن أفكارهم ومعتقداتهم فسنرى العجب العجاب! ومن ذلك:

١- متابعتهم للخوارج الأوائل في تكفير رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بل وزعموا أنه هو الذي نزل فيه قول الله ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[البقرة:٢٠٤]، وفي المقابل صوّبوا عملَ قاتلِه عبد الرحمن بن ملجم، وزعموا أن الله أنزل في شأنه قولَه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[البقرة: ٢٠٧].

٢- تكفير مرتكب الكبيرة، والقول بأنه خارج من ملة الإسلام، ومخلّد في النار مع سائر الكافرين.

٣- تكفير جميع مخالفيهم، ومَن لا يقول بقولهم؛ حتى شمل التكفير: الخوارج الذين اعتزلوا القتال بين عليٍّ ومخالفيه، والذين أُطلق عليهم اسم: «القَعَدة»، أو أولئك الذين رفضوا

(١) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١١٢-١١٣).
(٢) المصدر السابق، (ص١٣١).
(٣) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٣٩-١٤٠).

الانضمام والهجرة إليهم.

٤- اعتبار دار مخالفيهم دار حربٍ، يُستباح فيها كل شيء؛ مِن قتل الأطفال والنساء وسبيهنّ، ومصادرة الأموال، ورأوا أنّ مَن خالفهم لا يُحفظ له عهدٌ، ولا تؤدّى إليه أمانته، وأن مَن أقام في دار الكفر (أي: في غير معسكرهم) ولم يلحق بهم كان مشركًا.

٥- امتحنوا من انضمّ إليهم بقتل الأسرى؛ للتأكد من صدق نيّته! فكانوا يدفعون إليه أسيرًا من مخالفيهم ويأمروه بقتله؛ فإن قتله صدّقوه في دعواه أنه منهم، وإن لم يقتله؛ قالوا: هذا منافق مشرك؛ وقتلوه!!

٦- رأوا أن أطفال المشركين كآبائهم؛ فأباحوا قتلهم، وكانوا يطرحونهم في القدور وهي تغلي!

٧- إنكار التقية في القول والعمل.

٨- جوّزوا أن يبعث الله نبيًّا يعلم أنه يكفر بعد نبوّته، أو كان كافرًا قبل بعثته.

٩- وتبنوا أحكامًا فقهية شاذة، خالفوا بها الأمة؛ فأسقطوا الرجم عن الزاني بحجّة أنه لم يرد في القرآن[١]، وأوجبوا قطع يد السارق في القليل والكثير؛ مِن غير اعتبار لقيمة الشيء المسروق، وجعلوا القطع من المنكب، وأوجبوا على الحائض الصلاة والصيام، وأسقطوا حدّ القذف عمّن قذف المحصن من الرجال؛ مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء[٢].

أما سلوكهم؛ فقد جاء منسجمًا تمامًا مع ما يدينون به؛ من قتل الأبرياء وسفك الدماء وتكفير المخالفين، ومِن ذلك: رفض نافع بن الأزرق الصلاة على أبيه لمّا مات[٣].

وقد أورد المؤرخون الشيء الكثير عن فسادهم وإفسادهم؛ فذكر ابن كثير أنهم لمّا ذهبوا إلى المدائن «جعلوا يَقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبالى، ويفعلون أفعالًا لم يفعلها غيرهم!»[٤].

ولا يزال التعطش للدماء وقتل المخالفين ملازمًا للخوارج المعاصرين، وعلى رأسهم: تنظيم داعش، وإثبات ذلك ليس بالأمر العسير، ويكفي أن نشير إلى شيء ممّا بثّه التنظيم في التسجيلات الصوتية؛ حيث يقول ناطقهم الرسمي: «فاعلموا أن لنا جيوشًا في العراق، وجيشًا في الشام؛ مِن الأسود الجياع، شرابهم الدماء، وأنيسهم الأشلاء، ولم يجدوا فيما شربوا أشهى من دماء الصحوات.

فَوَالله! لَنسحبنَّهم ألفًا ثم ألفًا، ثم والله! لن نبقي منكم ولن نذر...».

وفي موضع آخر -يقول هذا الناطق!-: «وأما مَن يصرّ على البقاء في صفوف صحوات الخيانة والدياثة والعمالة، أو الجيش أو الشُّرَط الحثالة، وكل مَن يخالفهم أو يعينهم في حرب المجاهدين؛ فدمه مباح، وهو عندنا على رأس قائمة المطلوبين.

وعلى جنود الدولة الإسلامية وأنصارها قطفُ رؤوس

(١) من العجيب أنه إذا كان الخوارج الأزارقة في القديم أنكروا الرجم فإن أتباعهم المعاصرين «داعش» توسعوا فيه وأخذوا يطبقونه باعتباط وعنجهية، وبلا ضوابط شرعية! انظر: علي بن حسن الحلبي، «داعش العراق والشام في ميزان السنة والإسلام»، (ص٢٢٠-٢٢١).

(٢) د. عطا الله المعايطة، «جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة» (ص٥٠٨-٥١١)، د. أحمد محمد جلي، «دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين» (ص٧٢-٧٣)، =

= عبد القاهر البغدادي، «الفرق بين الفرق» (ص٨٣-٨٤)، د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص٢٢٢-٢٢٦).

(٣) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٣٠).

(٤) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧٣٧).

هؤلاء، ومطاردتهم وملاحقتهم في كل مكان، وهدم منازلهم أو حرقها؛ بعد إخراج الأهل والذّرّيّة منها؛ جزاء وفاقًا»[1].

وإزاء ما اقترفه الأزارقة من شرور لم يكن مِن الغريب أن يُقال يومًا ما لزعيمهم ومؤسس فرقتهم: «يا نافع! إنّ لجهنم سبعة أبواب، **وإن أشدّها حرًّا الباب الذي أُعِدّ للخوارج**؛ فإن قدرتَ ألاّ تكونَ منهم فافعل»[2].

(١) علي الحلبي، «داعش العراق والشام في ميزان السنة والإسلام» (ص٤٢-٤٣).

(٢) المبرِّد، «الكامل في اللغة والأدب» (ص٥٦٨ و٥٩٨).

المراجع:

١- ابن كثير، «البداية والنهاية»، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم-بيروت، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

٢- عبد القاهر البغدادي، «الفرق بين الفرق»، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت.

٣- أبو العباس المبرِّد، «الكامل في اللغة والأدب»، تحقيق علي زينو وعماد الطيار،طبعة مؤسسة الرسالة-بيروت، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٤- د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم»، دار الطليعة للطباعة والنشر-بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٥- د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ خلال ٣٧-١٣٢هـ»، دار الطليعة للطباعة والنشر-بيروت، الطبعة الثانية، (أيار/ مايو ٢٠٠٧م).

٦- د. عطا الله المعايطة، «جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة والردّ على الفرق حتى نهاية العصر الأموي»، الدار الأثرية للطباعة والنشر والتوزيع-عمّان، الطبعة الأولى، (١٤٣٧هـ-٢٠١٦م).

٧- علي بن حسن الحلبي، «داعش العراق والشام في ميزان السنة والإسلام»، الطبعة الأولى، (١٤٣٦هـ).

٨- د. أحمد محمد أحمد جلي، «دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة»، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الثالثة، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

لماذا يحاربون «صحيح البخاري»؟ (٢)
هل تأخر تدوين السُّنة حقاً؟

فادي قراقرة - كاتب فلسطيني

خاص بـ «الراصد».

من أبرز القضايا والشبهات التي يُكثر خصوم السنة من ترديدها -على كافة أطيافهم وفرقهم- هي: شبهة تأخر تدوين السنة إلى حدود القرن الثاني الهجري وما بعده، والتي بدورها حاولت العبث بصحة أحاديث «صحيح البخاري»؛ فضلًا عن غيره من الكتب الحديثية ومصادر السنة المختلفة.

والحقيقةُ أن هذه الشبهة حديثة المولد، لم تظهر ولم تبرز إلا على أيدي المستشرقين من اليهود والنصارى؛ الذين قال الله فيهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[المائدة:٨٢]، ومن كان ذَنَبًا لهم، حتى إن الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) لم يشر لهذه الشبهة في كتابه الرائع «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»؛ برغم من أنه قصد في رده على شبهات من لا يرى الاحتجاج بالسنة، مما يشير إلى عدم ورود هذه الشبهة في قاموس الطاعنين في السنة آنذاك.

وظهور هذه الشبهة وانتشارها في العصر الحاضر مرتبط ارتباطًا وثيقًا بجهل الناس بدينهم في العصور المتأخرة؛ خاصة بين المتعلمين تعليمًا أكاديميًّا، فهم في الحقيقة أُميّون دينيًّا بفضل المناهج التعليمية العلمانية، مما سَيُكَوِّن أرضية خصبة لرواج أمثال هذه السذاجات الفكرية التي تلقى عبر شاشات الفضائيات والهواتف الذكية أو في الصحف والمجلات، ويجعل تقبل رد السنة وإنكارها عند كثير منهم أمرًا مقبولًا ومنطقيًّا! لانعدام قدرتهم العلمية على تفحص مصداقية الدعاوى المناوئة للسنة وشبهات الطاعنين فيها!

◘ بدايات الشبهة:

تعود بدايات هذه الشبهة إلى اليهودي المستشرق جولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م)، ضمن كتابه «دراسات إسلامية»؛ فكتب مؤصلًا لها: «إن الحديث النبوي وُجد نتيجة للتطور الديني والتاريخي والاجتماعي الإسلامي خلال القرنين الأولين للهجرة»[(١)].

ويُثبت الحداثي المعاصر جورج طرابيشي تأثير شبهة اليهودي جولدتسيهر هذه على الباحثين المسلمين من بعده؛ فيقول: «القراءة الترادفية للدلالات هي التي أوقعت جولدتسيهر - وهو المستشرق الذي يأخذ عنه الجابري بوساطة أحمد أمين نظريته دون أن يسميه - في وهم التصور بأن بداية التدوين في الإسلام ترجع إلى منتصف القرن الثاني الهجري!»[(٢)]، مما يدل على عمق تأثر الطاعنين بالسنة من المنتسبين للإسلام بالفكر اليهودي؛ شاؤوا أو أبَوْا!!

وكلام طرابيشي -المسيحي الأصل، الماركسي الفكر- يدل من جهة أخرى على خلل منهج المستشرقين في فهم الإسلام بدلًا من مناهج العلوم الإسلامية الشرعية.

---

(١) «Goldziher, Muslim Studies» (vol,٢, p ١٩).

(٢) إشكالية العقل العربي، جورج طرابيشي، (ص٤٨).

كما أن هذه الفرية اليهودية تبناها - أيضًا - أفراخه من المستشرقين؛ فهذا تلميذه المستشرق الألماني جوزيف شاخت يكرر مزاعم أستاذه جولدتسيهر: «إن الأحاديث المنسوبة للنبي وأصحابه التي يدعى بأنها ترجع إلى عصر النبي وأصحابه في الحقيقة لا تحتوي على معلومات موثوقة بها - صحيحة - عن تلك الفترة الإسلامية الأولى.

بيد أن تلك الأحاديث تعكس لنا الآراء التي كانت خلال القرنين الأولين من الهجرة والنصف الأول من القرن الثالث الهجري»[(١)].

وبعد هذين المستشرقين لم يأت مستشرق بأي زيادة تستحق النظر! حتى أن المستشرق الإنجليزي ألفريد غيوم في كتابه المسمى: «أحاديث الإسلام» لم يأت بأي شيء جديد في موضوع الطعن في السنة عمومًا، وفي موضوع هذه الشبهة خصوصًا، وكانت مادته في كتابه معتمدة اعتمادًا كليًّا على ما كتبه جولدتسيهر[(٢)].

أما فيما يتعلق بالدافع لاختراع هذه الشبهة؛ فلعله شعور جولدتسيهر اليهودي بعقدة النقص التي تملكته بسبب تأخر تدوين التوراة بعد ضياعها في عصر نبوخذ نصر والسبي البابلي؛ حيث تمت كتابتها مرة أخرى بعد ما يقارب المائتي سنة، فضلًا عن التلمود الذي هو رواية الأحبار والأصفياء؛ والتي تعد رواية شفهية كذلك.

لكن ما هو الدافع والسبب الذي جعل البعض من بني جلدتنا يقلدون جولدتسيهر، ويرددون هذه الشبهة بغير أي فهم لها، ولا إدراك لأبعاد هذه المقولة الباطلة؟!

(١) J, Schacht, «Re-evaluation of Islamic tradition» (p١٤٥)

(٢) ينظر: مقدمة كتاب «دراسات في الحديث النبوي»، لمحمد مصطفى الأعظمي.

وبطبيعة الحال؛ فإن الجواب ستجده في قول النبي ﷺ: «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع؛ حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه!»[(٣)].

وفي حاضرنا التقط علمانيو قومنا وسفهاء مفكرينا من الحداثيين وغيرهم كلمة اليهودي جولدتسيهر، وقاموا بنشرها وترويجها، فهذا العلماني إبراهيم فوزي يقول: «السنة لم تدوّن في عصر الصحابة مثلما دُوِّن القرآن، وبقيت طيلة القرن الأول لم يدون شيء منها، فتعرضت للتحريف والتزوير والكذب على النبي ﷺ، وهذا أفقدها صفة التشريع الموحد لجميع المسلمين»[(٤)].

ومثله محمد شحرور في لقاء له متلفز؛ حيث قال: «الحديث ظهر بعد مائتي سنة... في أواخر القرن الثاني الهجري»[(٥)].

ومثلهم عدنان الرفاعي؛ الذي كتب كتابًا ينتصر فيه للطعن في السنة والتشكيك فيها، سماه: «الحق الذي لا يريدون»، ذكر فيه شبهة تأخر كتابة السنة قرونًا!![(٦)].

وأشار لها كذلك زكريا أوزون في كتابه سيء الذكر «جناية البخاري»[(٧)].

والواقع يشهد أنك لن تجد طاعنًا في السنة إلا وله نصيب من تكرار اجترار شبهة جولدتسيهر، وأن كتاباتهم لن تخرج في أطروحاتها عما كتبه هذا اليهودي.

(٣) «صحيح البخاري»، حديث رقم (٣٤٥٦).

(٤) «تدوين السنة» لإبراهيم فوزي، الريس للنشر، (ص٢١).

(٥) https://www.youtube.com/watch?v=YkO-XQEsRoQ
بعنوان: (مشكلتي مع السنة النبوية)، محمد شحرور.

(٦) «الحق الذي لا يريدون»، عدنان الرفاعي، (ص٩٣).

(٧) «جناية البخاري، إنقاذ الدين من إمام المحدثين»، زكريا أوزون، (ص١٥).

◘ **جواب الشبهة:**

المرتكز الأساس لنقد هذه الشبهة يبتدئ من تشريح ركائز هذه الخرافة! عبر إدراك واقع المجتمع الإسلامي الأول وبقية المجتمعات المعاصرة له في طريقة حفظ العلوم والمعارف.

إن استحضار الواقع الحقيقي لذلك الزمن في طريقة وأسلوب تلقي القرآن الكريم والسنة النبوية كفيل ببيان تهافت هذه الخرافة بجلاء؛ التي لم ولن تكون يومًا ما فكرة تؤثر على عقلاء البشر ممن يعملون عقولهم وعندهم معرفة بطبيعة تلك المجتمعات.

فبداية: هل كان تدوين العلوم والمعارف في تلك الحقبة هو الأساس، وهكذا تخلف تدوين السنة عن بقية العلوم والمعارف؟ وهل هذا يؤثر على مصداقية النصوص النبوية عمومًا؟

فبالعودة إلى النمط التاريخي لتلك الحقبة؛ ستجد أن الثقافة الشفوية كانت هي السائدة بين شعوب عديدة، تناقلت عقائدها وقصصها وحوادث أيامها بشكل شفوي، وبخصوص العرب فقد كان الشعر عمود ثقافتهم، وكان يحفظ بشكل شفهي وليس كتابيًّا إلا في حالات نادرة، ومع ذلك لم يجرِ من دعوى النقض لصحة مروياتهم كما يجري من الحط والطعن على صحة السنة النبوية الآن!!

وفي الثقافات الأخرى؛ كانت الثقافة اليونانية قد مرت بطور مماثل من النقل الشفهي، بل لقد حط سقراط من الكتابة والتدوين ورفع من شأن الحفظ والمشافهة؛ فقد عَبَّرَ «سقراط عن ازدرائه لكتب أناكساغوراس التي تباع عند وراقي الساحة العامة في أثينا بفلسين، وعلى لسان سقراط -أيضًا- يضع أفلاطون في محاورة فادروس هجاءً مرًّا للكتابة، فالكتابة عنده بدلًا من أن تنمي ذاكرة العلم فإنها تستحدث النسيان في النفوس عن طريق إهمال المذاكرة والمحفوظ، فطالبو العلم عنده إذ يضعون ثقتهم في الكتابة، بواسطة رسوم أجنبية، لا من داخل صدورهم في أعماق نفوسهم، فإنهم لن يحوزوا سوى دعوى العلم، لا العلم»[1].

وإذا استعرضنا الحالة العامة لكافة الشعوب؛ فإننا سنجد أن جزءًا كبيرًا من تراثهم الفكري كان منقولًا شفهيًّا، ومع هذا فإنه لم يتعرض للنقد كما تعرضت له السنة النبوية؟! مما يدلنا على أن القضية تحيزية ضد السنة، وليست علمية موضوعية!

ثم هل النقل الشفهي والحفظ أقل جودةً وحفظًا للمادة المحفوظة من الكتابة؟

هذا المعنى أجاب عنه تمامًا المستشرق الإنجليزي صمويل مارغيلوت (١٨٥٨-١٩٤٠م)؛ والذي قال بعد طول بحث: «ليس غريبًا على الباحث في التاريخ الإسلامي أن يجد طريقة التحديث الشفهي تفضل على الوثيقة المكتوبة»[2].

وبالتالي؛ فإن الواقع العلمي يمنع تصور أن النقل الشفهي أقل جودة من الحفظ، فإذا كان الحفظ المجرد هو مادة معرضة للنسيان والضياع، فإن الكتابة المجردة مادة معرضة للتحريف وخطأ القراءة.

وهذا لا يحتاج إلى كثرة تفكير للوصول إلى فهمه! فكم من الناس من يكتب بخطه كلامًا ثم يعود إليه عند حاجته فلا يتمكن من قراءة ما سبق له تدوينه! فكيف لو كان الخط المدون ليس بخط صاحبه! كما يجري هذا في الواقع العملي عند محققي كتب التراث؛ حيث يواجهون من العنت والمشقة في قراءة المدون سابقًا في المخطوطات؛ بحيث يقع لهم من الوهم أو القراءة الخاطئة، لأسباب كثيرة منها: سوء الخط أو التصحيف أو تلف المخطوط!

---

(١) «إشكالية العقل العربي»، جورج طرابيشي، (ص٣٠).

(٢) «دراسات في الحديث النبوي»، محمد مصطفى الأعظمي، (ص٥٨٧).

وعليه؛ فإن اجتماع الحفظ مع كتابة المحفوظ دليل قوة ومتانة، كما أن اجتماع الحفظ مع تواطؤ النقل وكثرة الرواية لهذا المحفوظ دليل ضبط يفوق الكتابة ذاتها.

ولك أن تتخيل عشرة رجال يروون حديثًا من حفظهم، كل فرد منهم لا يعرف صاحبه ولا قرينه، ويتّفقون على معنى واحد، فهذا من معاني التواطؤ (تواطؤ المجتمع)، وهو دليل على صحة هذا المحفوظ؛ فضلًا عن كون هذا المجتمع الأول كبقية المجتمعات المعاصرة أو الموافقة له، مجتمعًا غير متكلف في حفظه، بل هذا من سجية هذا المجتمع في حفظ السنة أو حفظ الأشعار أو حفظ الأحداث والوقائع، ولا تزال لليوم أجزاء من هذا المجتمع تشتهر بقوة وسعة الحفظ؛ كالشناقطة في موريتانيا.

وبعد أن عرفنا أن الحفظ هو الأساس في نقل معارف وعلوم ذلك العصر، يبرز معنا سؤال مهم: هل برغم ذلك تأخر تدوين وكتابة السنة النبوية بالفعل كما يزعم اليهودي؟

لنبدأ في الجواب على هذا السؤال من أقوال أعداء وخصوم السنة النبوية؛ فقد تتعجبون أن اليهودي المجري جولدتسيهر نفسه عقد فصلًا في كتابه «دراسات إسلامية» أتى فيه بأدلة كثيرة على تدوين الحديث في أول القرن الهجري الثاني! وكان في الفصل الأول من الكتاب نفسه قد سرد طائفة من الأخبار تشير إلى بعض الصحف التي دُوّنت في عهد الرسول ﷺ، ولكنه شكك فيها!

وقد رمى بهذا إلى غرضين:

أحدهما: إضعاف الثقة باستظهار السُنَّة وحفظها شفهيًّا في الصدور، وأن الناس تعول على الكتابة في القرن الهجري الثاني.

والآخر: وصم السُنَّة كلها بالاختلاق والوضع على ألسنة المدونين لها، وأنهم لم يجمعوا منها إلّا ما يوافق أهواءهم ويعبّر عن آرائهم ووجهات نظرهم في الحياة[1].

وقد أقرّ عدد من المستشرقين قبل جولدتسيهر أن تدوين السنة وقع في وقت مبكر؛ بما ينسف مزاعم المستشرق اليهودي، ويؤكد أن العداء للإسلام هو ما يحركه، وليست الحقيقة العلمية.

فهذا المستشرق النمساوي شبرنجر (١٨١٣-١٨٩٣م) أورد في كتابه «الحديث عند العرب» أدلة كثيرة على وجود التدوين للسنة في عصر النبي ﷺ؛ فضلًا عن الأزمنة التي جاءت بعد ذلك.

وأما من المعاصرين الحداثيين؛ فيعترف جورج طرابيشي -رغم اضطرابه وطعنه في السنة بشكل عام- في كتابه «إشكالية العقل العربي» أن تدوين السنة تم منذ عصر النبي ﷺ وما بعده، فهو يقول: «وقد سُجلت الأحاديث في عصر الصحابة وأوائل التابعين في كراريس صغيرة، أطلق على الواحد منها اسم: الصحيفة أو الجزء»[2].

وهكذا؛ فإن الفرية التي دوّنها المستشرقون وأذنابهم من بني جلدتنا؛ والتي تقرر تأخر تدوين السنة إنما هي «فرية كاذبة بالمطلق»، يكذبها ويهدمها بعض المستشرقين والحداثيين أنفسهم! مما يفقد الناظر إلى كلامهم من عقلاء بني جلدتهم الثقة فيما يذكرونه.

ومن بعد هدم مصداقية الاتهام بتأخر تدوين السنة يلزم أن نستعرض سريعًا بعض النماذج لتدوين السنة منذ العصر النبوي المبارك؛ ففي عهد النبي ﷺ ومن بعده تم تدوين جزء مهم من السنة، فلم نصل نهاية المائة الأولى إلا وقد كانت هناك صحف حديثية كثيرة تدوّن أحاديث النبي ﷺ، وبقيت هذه الصحف

---

(١) «علوم الحديث ومصطلحه»، صبحي الصالح، (ص٣٥).

(٢) «إشكالية العقل العربي»، جورج طرابيشي، صفحة (٤٨).

تتناقل بين أفراد الأمة، واعتمد كثير من المحدثين عليها لاحقًا، محتجين بها وناقلين لها.

ومن أمثلة تدوين السنة النبوية في العصر النبوي: رسائله ﷺ إلى الملوك والقياصرة، ومنها: أحاديثه ﷺ والتي فيها الأمر بالتدوين؛ كحديث: «اكتبوا لأبي شاة»[1]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا[2].

أما في عهد الصحابة رضي الله عنهم فقد كان لبعض الصحابة صحف فيها أحاديث نبوية؛ كما كان لهم صحف فيها بعض القرآن أو كله؛ كصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، والتي اشتهرت باسم: الصحيفة الصادقة[3]، وصحيفة أنس بن مالك الأنصاري، وصحيفة سعد بن عبادة رضي الله عنه، وغيرها من الصحف[4].

وفي طبقة كبار التابعين؛ نجد صحيفة وهب بن منبه عن أبي هريرة، وغيرها.

وفي طبقة تابعي التابعين؛ هناك نسخة وكيع عن الأعمش.

وغيرها الكثير[5].

واستقصاء هذه الصحف يطول جدًّا، لا يتسع له مقال ولا كتاب، ويكفي اللبيب المثال.

(١) «صحيح البخاري»، حديث رقم (٢٤٣٤)، و«صحيح مسلم»، حديث رقم (٣٢٩٢).

(٢) انظر على سبيل التمثيل لا الحصر: «سنن أبي داود»، (كتاب العلم، باب في كتاب العلم)، حديث رقم (٣٦٤٦).

(٣) «تقييد العلم»، للخطيب البغدادي، (ص٤٨).

(٤) انظر: «الاتجاه العلماني المعاصر في دراسة السنة النبوية»، غازي الشمري، (ص١٤٠)، و«إشكالية العقل العربي»، جورج طرابيشي، (ص٣٧).

(٥) للاستزادة عن عدد الصحف الحديثية التي كُتبت منذ عهد النبي ﷺ إلى المائة الثانية، ينظر: «دراسات في الحديث النبوي»، محمد مصطفى الأعظمي، (ص٨٤ وما بعده).

ومما لا بد الإشارة إليه في خطاب جولدتسيهر ومن وافقه هو: عدم التفريق بين التدوين والتصنيف؛ حيث لم يفرقوا بين مجرد تدوين السنة في صحف -وهو قديم منذ زمن النبي ﷺ- وبين تصنيف كتب تجمع السنة بشكل منظم؛ إما على الأبواب الفقهية أو الرواة، وهو الذي تأخر وقوعه، مما أدى بهم إلى خلل في الرؤية؛ سواء كانت مقصودة عند أمثال جولدتسيهر، أو غير مقصودة عند أحد من أتباعه وأذنابه!

◘ الخلاصة:

إن الإدعاء بأن السنة النبوية تأخر تدوينها كحال «صحيح البخاري» مما قد يشكك في موثوقيتها إدعاء باطل! لأن ثقافة العصر الإسلامي الأول كانت ثقافة شفوية، ولا يمكن التهوين من موثوقيتها بسبب نقص التدوين والكتابة، لأن النقل الشفوي للسنة مما تواطأ عليه الرواة بشكل عام، وهو ما يسمى في عُرْفِ المحدثين: (بطرق الحديث)؛ حيث يرويه كثرة من الرواة في كل طبقة من طبقات الرواة، مع كثرة النقلة عن رسول الله ﷺ، والذي كان حالة من حالات المجتمع الأصلية؛ بحيث كان نصًّا ظاهرًا في واقعهم بالعقل، ومتعلقًا في تصرفاتهم؛ كالأعراف والعادات.

وهذا إن دلّ فإنما يدل على تمكن معانيه، مما جعل بعض الحداثيين يقر بقوة النقل الشفهي؛ كما جرى لحسن حنفي[6].

ورغم كل ذلك؛ فقد حدث التدوين للسنة مبكرًا من العهد النبوي، وتزايد مع الأيام، وتنوع وتعددت طرق تدوينه وتصنيفه وتقسيمه؛ حتى أصبح عِلمًا فريدًا بديعًا امتاز به المسلمون عن غيرهم من الحضارات السابقة واللاحقة.

لكن برغم كل ذلك؛ فإن العداء للدين والإسلام بلغ عند

(٦) «علوم الحديث من نقد السند إلى نقد المتن»، حسن حنفي، (ص٢٧٧).

اليهود والنصارى ومستشرقيهم وعلمانيهم وحداثييهم مبلغ الإسفاف في الطعن في السنة، طمعًا منهم بإسقاط القرآن الكريم، لأن القرآن بطبيعة الحال جُمع بعد عهد النبي ﷺ؛ وبالتالي فإن ذات الشبهة متكررة في حق القرآن عند المستشرقين، ولكن قومي لا يعلمون...

❀❀❀❀❀

أثر الفكر النسوي في انحلال المجتمعات.. مصر نموذجًا

فاطمة عبد الرؤوف- كاتبة مصرية

خاص بـ «الراصد».

تُعد خلخلة المجتمعات وتفكيك منظومة القيم الخلقية إحدى أهم ركائز المشروع النسوي الذي يَستخدم حرب المصطلحات لمنح الشرعية لمنظومة القيم الفوضوية التي يطرحها، تلك القيم الفوضوية التي تحاول هدم الضمير الإنساني الفطري، ومحاربة الضمير الديني، وإشاعة الفاحشة ونشر الانحلال الخلقي؛ من خلال حزمة من المؤتمرات والوثائق التي تجد طريقها للواقع عن طريق وسائل الإعلام والدراما، وبرامج التوك شو، وتغيير القوانين الوطنية أو حتى بعض مواد الدستور للوصول لهذه الأهداف.

لا يمكننا بحال إنكار أن ثمة نقاطًا ومحاور مهمة أثارها الفكر النسوي، ولكنها كلها -تقريبًا- وبلا استثناء ضاعت في المحصلة النهائية لثمرة تلك القيم الفوضوية ورفع راية الانحلال الخلقي، فتعليم الإناث والاهتمام بالرعاية الصحية لهن وصولًا لمنحهن فرص عمل مأجورة على قدم المساواة مع الذكور؛ كل ذلك مصطبغ بخلق نموذج أنثوي جديد ومختلف، وبمصطلحهم الشهير غير نمطي لا يحمل من بقايا الفطرة الإنسانية الحد الأدنى! بل أن حربًا شهيرة تهاجم هذه الفطرة التي ترى منظرات الفكر النسوي أنها مجرد وهْم كبير، وأن التربية والقيم المجتمعية من عادات وتقاليد هي الصانعة الحقيقية لما يطلق عليه: الفطرة، وبتعبير سيمون دو بوفوار: «المرأة لا تولد امرأة، وإنما تصبح كذلك»!

فإذا كان الفكر النسوي يحارب الحقيقة البيولوجية

الواضحة ويرفضها؛ فلا غرابة من محاربته الصارخة لمفاهيم مثل: الفضيلة، الشرف، العفاف، الإيثار.

استَخدمت الكثير من النسويات العربيات سياسة وفلسفة التقية عندما بدأن في نشر فكرهن المنحرف، ونظرة على قنوات التلفزيون العربية الرسمية سنجد أن الحديث كان منصبًّا على تعليم الفتيات وتخليصهن من الأمية، وعن معاناة المرأة المعيلة، أو حتى عن ضرورة تنظيم الأسرة عن طريق المباعدة بين الولادات؛ حتى تستطيع المرأة الحفاظ على صحتها.

ولو رصدنا مثل هذه البدايات سنجد أن الكثير منها كان يهتم بوضع لافتة دينية إسلامية لها: فطلب العلم فريضة، والرعاية الصحية واجبة سيسأل الله عنها الإنسان.. وهكذا.

وسنجد في البدايات أن النسويات العربيات يتّهمن من يحارب المؤتمرات الأممية النسوية بالجهل، وأن ثمة مغرضين يعملون على خلق حالة من التشويه والتنفير لمثل هذه الوثائق والمؤتمرات، وأن الحديث عن إباحة الزنا والشذوذ وحرية الإجهاض ما هو إلا ضرب من خيال هؤلاء المضللين!

وذلك للتغطية على حقيقة هذه المؤتمرات؛ فمثلًا: «في عام (١٩٩٤) عُقد مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة، وقد أثار «إعلان القاهرة» جدلًا واسعًا على المستوى الإسلامي، وعلى المستوى الدولي؛ لما يحويه من مصطلحات وتوصيات تخالف الأديان السماوية والقيم الإنسانية والأخلاقية، مثل: كلمة «الصحة الإنجابية»، و«الاختيارات الإنجابية»، ومعناه: حرية الإجهاض كخيار إنجابي تتمتع به المرأة دون عوائق، ومصطلح «الحقوق الجنسية»، وكلمة «المتحدين والمتعايشين» ومعناها: حرية الشخص في الممارسة الجنسية مع شخص من نفس الجنس، «اللواط أو السحاق».

بمعنى: أن الوثيقة أرادت إقرار حقوق «اللوطيين والسحاقيات»، واعتبارهم أشخاصًا طبيعيين يمارسون حريتهم الجنسية»![1]

وانكشاف الحقيقة أجبر مثل عمرو موسى -وزير الخارجية المصرية وقتئذٍ- أن يعلق على هذا المؤتمر بقوله: «اتضح لنا أن المسألة ليست صياغة فقرات عن الجنس والزواج، بل كان هناك نوع من الفكر تؤمن به مجموعة من الدول! مقابل فكر آخر لدول أخرى، يعني: كان هناك حوار وصدام وتنافس فكر ديني وحضاري، وكل مجموعة تحاول أن تسيطر وتفرض رأيها خاصة في مثل هذا المؤتمر»[2].

وفي العام التالي (١٩٩٥) تم عقد أخطر المؤتمرات الأممية النسوية على الإطلاق وهو: «مؤتمر بكّين»؛ حيث سقطت جميع أوراق التوت، وتجلى بشكل لا يقبل التشكيك حقيقة إستراتيجية الفكر النسوي لنشر الفاحشة والانحلال، وفرض ذلك على كافة المجتمعات لخلق مجتمع بشري جديد لا يعرف معنى الفضيلة أو العفاف؛ حيث «يجب أن تزيل البلدان العوائق القانونية والتنظيمية والاجتماعية التي تعترض سبيل توفير المعلومات، والرعاية الصحية والجنسية والتناسلية للمراهقين، كما يجب أن تضمن أن لا تحد مواقف مقدمي الرعاية الصحية من حصول المراهقين على الخدمات والمعلومات التي يحتاجونها، وفي إنجاز ذلك لا بد للخدمات المقدمة إلى المراهقين أن تضمن حقوقهم في الخصوصية والسرية، والموافقة الواعية والاحترام»[3].

إذ يبدأ نشر الانحلال بين المراهقين في سن البلوغ؛ حيث تكون الهرمونات الجنسية في أشد حالاتها، وتكون القدرة على الضبط والتحكم أقل من الناضجين، وهنا يتم التشديد على الدول

(١) «شيطنة المرأة وسيلة لضرب الأسرة وهدم المجتمعات»، محمد عبد الحميد.

(٢) جريدة «الخليج» (١٩٩٤/٩/٢٤).

(٣) «إعلان ومنهاج بيجين»، مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا.

حتى تمنح المعلومات وتقدم التسهيلات ويتم الانتباه لأدق التفاصيل؛ كأن يقوم مقدم الخدمة الصحية بأي موقف يشعر المراهق بالذنب.

ولأنهم يخططون بطرق شيطانية فهم يعلمون أن المراهقين ورغم اندفاعهم إلا أنهم قد يتملكهم الخجل من الإقدام على الفواحش، وهي لا يمكن إلا أن تكون فواحش بعد الرفع القسري لسن الزواج، لذلك تؤكد الفقرة على ضرورة السرية واحترام الخصوصية!

وتطالب بـ «تصميم برامج محددة موجهة للمراهقين والرجال من جميع الأعمار؛ تهدف إلى توفير معلومات كاملة ودقيقة عن السلوك الجنسي والإنجابي المأمون والمسؤول، بما في ذلك: الاستخدام الطوعي لوسائل الوقاية الذكرية المناسبة والفعالة؛ بغية الوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز»[1].

وتطالب بـ «إزالة الحواجز القانونية والتنظيمية والاجتماعية التي تعترض التعليم في مجال الصحة الجنسية والإنجابية في إطار برامج التعليم الرسمي»[2].

فالمراهقون الذكور تتاح لهم الوسائل التي تجعلهم يقدِمون على الفاحشة وهم في مأمن انتقال الأمراض الجنسية.

أما المراهقات والنساء -وفي سياق تشجيعهن على الحرية الجنسية-؛ فقد تم الربط وبمهارة بين الظروف القاسية التي قد تعاني منها بعضهن وبين الحرية الجنسية؛ «فشيوع الفقر والتبعية الاقتصادية بين النساء، وما يصادفنه من عنف، والمواقف السلبية من النساء والبنات والتمييز العنصري وغيره من أشكال التمييز، ومحدودية ما يتمتع به كثير من النساء من سلطان على حياتهن الجنسية والإنجابية، والافتقار إلى التأثير في عملية صنع القرار؛ هي من الحقائق الاجتماعية التي تترك أثرًا معاكسًا على صحة المرأة.

فافتقار النساء والبنات إلى الغذاء، وكونه يُوزع بصورة غير عادلة في الأسرة المعيشية، وعدم كفاية إمكانية وصولهن إلى المياه المأمونة ومرافق الصرف الصحي وإمدادات الوقود؛ ولا سيما في المناطق الريفية والحضرية الفقيرة، وقصور أوضاع الإسكان؛ تلقي جميعها بأعباء زائدة على كاهل النساء وأسرهن، وتترك تأثيرًا سلبيًّا على صحتهن.

وسلامة الصحة أمر لازم لتمتع المرأة بحياة منتجة ومرضية، كما أن حق جميع النساء في السيطرة على جميع جوانب صحتهن؛ وعلى الأخص خصوبتهن، هو أمر أساسي في تمكينهن»[3].

وهذا النص صريح بالغ الصراحة بسيطرة النساء على حياتهن الجنسية؛ هو أمر أساسي للتمكين الاقتصادي والمعيشي.

ورغم غرابة الربط بين عدم وجود مرافق صرف صحي وإمدادات الوقود وقلة الغذاء وبين الحل المطروح ألا وهو: السيطرة على الحياة الجنسية والإنجابية! **إلا أنه يؤكد ما ذهبنا إليه من أن نشر الفاحشة والانحلال هو هدف محوري في المشروع النسوي،** وأن جميع الأهداف التي تبدو مضيئة وفي صالح النساء يتم التعامل معها كأهداف وظيفية لخدمة الهدف المركزي المحوري وهو: نشر الانحلال وتغيير النمط الخلقي للمجتمعات.

وكما كان للذكور المراهقين أولوية في توجيه الخطاب الانحلالي التحريضي؛ فإن المراهقات الإناث لهن -أيضًا-

(١)«إعلان ومنهاج بيجين»، مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا.

(٢) المصدر السابق.

(٣)«إعلان ومنهاج بيجين»، مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا.

الأولوية لسهولة التأثير عليهن خلافًا للناضجات، «والتمييز ضد البنات -الذي كثيرًا ما ينشأ عن تفضيل الأبناء الذكور- في الحصول على التغذية وخدمات الرعاية الصحية يُعرض للخطر صحتهن وسلامتهن في الحاضر وفي المستقبل.

كما أن الأوضاع التي تجبر الفتيات على الزواج والحمل والولادة في وقت مبكر، وتعرضهن للمارسات الضارة مثل: عمليات ختان الإناث تشكل مخاطر صحية جسيمة.

وتحتاج المراهقات مع بلوغهن إلى الحصول على الخدمات الصحية والتغذوية اللازمة، وإن كن لا يحصلن عليها في الغالب الأعم.

وحصول المراهقات على المشورة والمعلومات والخدمات فيما يتعلق بالصحة الجنسية والإنجابية لا يزال قاصرًا أو معدومًا تمامًا، وكثيرًا ما لا يؤخذ في الاعتبار حق الشابات في الخصوصية والسرية والاحترام والموافقة المستنيرة»[1].

تكرار المظالم التي تقع على الفتيات والتي تدفعهن للرثاء على أنفسهن! هي مقدمة عاطفية لتمرير الهدف الأساسي وهو: الصحة الجنسية والإنجابية للمراهقات؛ سواء عن طريق وسائل منع الحمل، أو عن طريق الإجهاض الآمن، وإمدادهن بالمعلومات اللازمة والمشورة والخدمات التي تحقق ذلك.

«**والمراهقات أكثر تعرضًا -بيولوجيًّا واجتماعيًّا ونفسيًّا-** من الأولاد المراهقين للإيذاء الجنسي والعنف والبغاء ولعواقب العلاقات الجنسية غير المحمية والسابقة لأوانها.

والاتجاه إلى التجارب الجنسية المبكرة مع انعدام المعلومات والخدمات يزيد من خطر الحمل غير المرغوب فيه والمبكر للغاية، ومن خطر الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية، وغيره من الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي، وكذلك خطر عمليات الإجهاض غير المأمون.

ولا يزال الحمل المبكر يعوق إحداث تحسينات في الوضع التعليمي والاقتصادي والاجتماعي للمرأة في جميع أنحاء العالم، وبصورة عامة فإن الزواج المبكر والأمومة المبكرة للشابات يمكن أن يحدا بدرجة كبيرة من فرص التعليم والعمل»[2].

بينما يحد الزواج المبكر من فرص التعليم والعمل؛ فإن البديل ليس العفة التي لا يرد لها ذكر ولا مرة واحدة في منهاج عمل بكين! وإنما فقط ينبغي حماية المراهقة من الإيذاء الجنسي، ومن العلاقات الجنسية غير المحمية، ومن خطورة الإجهاض غير المأمون!

«**وتشمل حقوق الإنسان للمرأة:** حقها في أن تتحكم، وأن تبت بحرية ومسؤولية في المسائل المتصلة بحياتها الجنسية، بما في ذلك: صحتها الجنسية والإنجابية، وذلك دون إكراه أو تمييز أو عنف.

وعلاقات المساواة بين الرجال والنساء في مسألتي العلاقات الجنسية والإنجاب، بما في ذلك: الاحترام الكامل للسلامة المادية للفرد، تتطلب الاحترام المتبادل والقبول وتقاسم المسؤولية عن نتائج السلوك الجنسي»[3].

وفي المجتمع النسوي البديل تواجه النساء ثمار العلاقات غير الشرعية وحدها، في واحدة من أسوأ ما تعانيه المرأة الغربية؛ رغم كل الدعم المقدم لها! لذلك يسعى المشروع النسوي للبحث عن وسائل جديدة لإقناع الرجال بتقاسم المسئولية الناتجة عن السلوك الجنسي غير الشرعي، وهو الأمر الذي لا يلاقي نجاحًا حتى الآن.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «إعلان ومنهاج بيجين»، مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا.

(٣) المصدر السابق.

ومن ثم توسعت النساء في منع الحمل حتى لا تتحمل وحدها مسئولية هذا السلوك الغريزي غير المنضبط، وهو ما يتماشى مع فلسفة الفردية التي هي روح الفكر النسوي، بينما تعاني الجماعة في الغرب من شيخوخة المجتمع بعد تناقص عدد المواليد لدرجة الخطر.

وعلى الرغم من ذلك؛ هناك إصرار بالغ على الضغط على دولنا لإباحة الإجهاض، و«النظر في استعراض القوانين التي تنصّ على اتخاذ إجراءات عقابية ضد المرأة التي تجري إجهاضًا غير قانوني»[1]، وتمت الدعوة بإلحاح للبحث عن بديل للإجهاض عن طريق «تشجيع الرجل على تحمل نصيبه بالتساوي في رعاية الأطفال والعمل داخل البيت، وتقديم حصته من الدعم المالي لأسرته؛ حتى وإن كان لا يعيش معها»[2].

إنها محاولات لترقيع تناقضات الفكر النسوي! فبينما تطالب وثيقة إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو) و«منهاج بكين» بضرورة التساوي في نوعية التعليم وطبيعة العمل، ومن ثم أصبحت مشكلة رعاية الأطفال مشكلة ملحّة بحاجة إلى حل؛ فكان الحل في نظرهم: أن يتحمل الرجل نصيبه بالتساوي في رعاية الأطفال والعمل داخل البيت، ولكنهم لم يبتكروا حلًّا حتى الآن لرعاية الأجنة، وما تعانيه النساء أثناء الحمل، وأيضًا لرعاية الرضع واللاتي أجبرهن العلم الحديث للدعوة للعودة للرضاعة الطبيعية مرة أخرى!

الثمار المرة لدعاوى الانحلال التي يحملها الفكر النسوي تبدو الآن ظاهرة للعيان؛ فالفكر النسوي الذي صيغت أفكاره في منهاج عمل تتم متابعته بانتظام، وينفق عليه بسخاء، ويقنن في قوانين في ظل واقع سياسي واجتماعي متأزم؛ لا بد أن تظهر ثماره.

ولو رصدنا المجتمع المصري كنموذج يقع في القلب من العالم الإسلامي مع ثقل سكاني وعلمي وتاريخي؛ سنجد أن مظاهر الانحلال التي ظهرت على السطح في الآونة الأخيرة أكبر من أي محاولة لتجميل الواقع!

مشروع ليلى:

كان وقع ما حدث في القاهرة منذ أيام قليلة أكثر من صادم!! ففي حفلة أقيمت في التجمع الخامس لفرقة لبنانية اسمها: (مشروع ليلى) تجمع فيها أكثر من (٣٥ ألف) شخص، وكان الزحام شديدًا للغاية، وقال شهود عيان أنه قد تواجد في الحفل مخدرات (بانجو وحشيش)، وكانت العديد من الفتيات يرتدين ملابس عارية فاضحة تشبه تلك الملابس التي ترتدي على شواطئ البحر، ويعلم جميع من حضر الحفل أن قائد فريق (مشروع ليلى) حامد سنو هو من الشواذ العرب؛ حيث جاهر بذلك مرارًا لوسائل الإعلام.

وعلى الرغم من ذلك؛ حدثت حالة من التطبيع المجتمعي والقبول به، على الرغم من أن الآلاف الذين حضروا الحفل هم أشخاص طبيعيون لكنهم لم يجدوا غضاضة من التعامل مع فريق مشبوه مثل: (مشروع ليلى)، أو كما قالت إحدى الحاضرات: «نحن كجماهير نؤيد وجود فرقة (مشروع ليلى) في مصر، وليس لنا التدخل في أمورهم الشخصية لأنهم هم مَن سيحاسبون على أفعالهم في النهاية»[3].

وكان من ضمن الحضور -أيضًا- عدد من الشواذ من الذكور والإناث، لم يعلم عددهم على وجه التحديد؛ إذ اختلفت

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) شهود عيان يروون كواليس حفل (مشروع ليلى)، جريدة «المصريون».

التقديرات في عدد الشواذ الذين حضروا الحفل ما بين (١٠٠ و٣٠٠) فرد، حيث قاموا برفع علم الشواذ الذي يشبه قوس قزح، وقام بعضهم بممارسات مخجلة على الملأ.

وعلى الرغم من أنه يتم حاليًّا التحقيق مع من رفع العلم ومن قام بتلك الممارسات الفاحشة على الملأ؛ إلا أن مجرد إعلان الشواذ عن أنفسهم بهذه الطريقة في قلب القاهرة علامة فارقة في مدى استقواء الانحلال الخلقي! حتى أن العديد من الصفحات كتبت بوقاحة منقطعة النظير عن حقوق الشواذ في المجتمع المصري.

«**وكتبت إحدى الصفحات التابعة لجمهور (مشروع ليلى)** ناشرة صورة من رفع العلم في الحفل، معلقة: ربما كان يخاف الكثير منا من رفع العلم والتصريح أننا هنا، كل الشكر لكل من رفعوا علمنا، علم فخر مجتمع الميم، كل الشكر لهؤلاء الشجعان والشجاعات في حفل (مشروع ليلى)، شكرًا لجعلنا جميعًا نشعر بفرحة عارمة بهذا الانتصار الصغير، شكرًا للظهور والتصريح أننا هنا، دعونا نام اليوم سعداء بهذه اللحظة»[(١)].

ما قامت به السلطات المصرية مِن توقيف مَن رفع علم الشواذ، وهؤلاء الذين جاهروا بشذوذهم استجابة للصدمة المجتمعية التي حدثت؛ تم مواجهته بالتنديد من قبل الأمم المتحدة؛ حيث «أعرب مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان عن القلق بشأن اعتقال أكثر من (٥٠) شخصًا خلال الأسابيع الأخيرة بسبب ما يعتقد عن توجهاتهم أو هوياتهم الجنسية، وألقي القبض على اثنين لرفعهما أعلام قوس قزح خلال حفل موسيقي، واعتقل آخر لإدارة صفحة على موقع فيسبوك، وفي بعض الأحيان يتم القبض على الأفراد بعد الإيقاع بهم من قبل مسؤولي تنفيذ القانون على التطبيقات أو المحادثات على شبكة الإنترنت».

وتتضمن الاتهامات الموجهة لهم: ممارسة الفسق والتحريض على الفجور، والانضمام إلى جماعة محظورة.

وذكر المتحدث أن عشرة رجال على الأقل قد حُكم عليهم بالسجن لفترات تتراوح بين عام وستة أعوام، وينتظر معظم المحتجزين الآخرين المحاكمة، وتم الإفراج عن عدد قليل ممن احتجزوا.

أما المتحدث باسم مكتب حقوق الإنسان؛ فأضاف قائلًا:

«اعتقال أو احتجاز أشخاص بناء على توجهاتهم وهوياتهم الجنسية الفعلية أو ما يعتقد عنها؛ يعد تعسفيًّا، وينتهك القانون الدولي والمساواة أمام القانون والحماية المتساوية أمامه.

اعتقال واحتجاز أفراد للتعبير بشكل مشروع عن أنفسهم، بما في ذلك: رفع أعلام قوس قزح، هو أمر تعسفي -أيضًا-، وينتهك حقوق الأفراد في حرية التعبير».

ويشدد مكتب حقوق الإنسان على ضرورة أن تلغي جميع الدول القوانين التي تجرم العاملين في مجال الجنس»[(٢)].

معركة الشواذ في مصر كرمز أعلى للفساد بدأت ولن تنتهي بسهولة! فلم يعودوا يقبلون بوصفهم بالشذوذ ولا بالمرضى النفسيين، هم يرون أن لهم هوية جنسية مثلية ولدوا بها، ولهم الحق في إظهارها، تلك الروح التي سرت بفعل تلك المواثيق الحقوقية النسوية التي خاطبت المراهقين والمراهقات بضرورة امتلاكهم الحرية الكاملة لاختيار هويتهم الجنسية، ومن ثم وقفت الأمم المتحدة تدافع عن الطليعة التي بدأت بتنفيذ ما تم التخطيط له في «منهاج بكين»، بل والانتقال من مرحلة السرية والاختفاء والتبرير

---

(١) رفع علم المثليين في حفل بالتجمع الخامس لفرقة (مشروع ليلى)، جريدة «اليوم السابع».

(٢) نقلًا عن موقع «الأمم المتحدة» بتصرف يسير.

لمرحلة الاستقواء والتحدي والظهور للعلن.

الزواج العرفي:

لم تكن حادثة معلم الكيمياء الذي يعطي دروسًا لمجموعة مختلطة من طلاب وطالبات الثانوية العامة إلا انعكاسًا للواقع المر الذي يحيا في أجوائه الطلاب المراهقين! فالطلاب الذين يعانون معاناة قاسية من وطأة الضغوط التعليمية من جهة، ومن وطأة المشاعر والأحاسيس التي يمرون بها بفعل التغيرات الهرمونية من جهة أخرى، وتحيطهم الدراما والسينما والأغاني بسيل من الإثارة الجنسية، والذين يمنع زواجهم بفعل الواقع الاقتصادي والاجتماعي وبالطبع القانوني؛ الذي يرى في ذلك شرًّا مستطيرًا، والذي يراد لهم أن يعيشوا كما الطلاب في الغرب في علاقات جنسية خارج إطار الزواج؛ بالطبع مع تثقيفهم جيدًا حتى لا تنتقل لهم أمراض منقولة جنسيًّا عن طريق عملية التبادل التي يمارسونها؛ هؤلاء الطلاب الذين ينبغي أن توضع لهم خطط مدروسة جيدًا لمساعدتهم على تجاوز هذه المرحلة الصعبة نجد معلمًا تربويًّا يشرح لهم الكيمياء بلغة خارجة كأنه يسخر من التثقيف الجنسي الذي يريد الفكر النسوي نشره، والذي سينتقل في ظل الوضع المتأزم إلى تطبيق عملي لما يقوله المعلم المنحل.

فالمعلم يشرح بعض التفاعلات ويشبهها بالعلاقة بين الفتى والأنواع المتعددة من الفتيات اللاتي يلتقي بهن؛ حتى يصل لمكون جديد يطلق عليه: «ابن حرام»، وهو أخف لفظ استخدمه المعلم في شرحه وسط ضحك الطلاب والطالبات الحاضرين، والذي يبدو أن لغته البذيئة لم تثر إلا ضحكهم!

هذا المناخ المنحل ربما يكون صادمًا! لكنه ليس شاذًّا في سياق عام يدعو لهذا الانحلال، حيث يصل التطبيق العملي لهذا المناخ مداه وسط الطلاب الجامعيين؛ الذين يبدأ عامهم الدراسي بحفلات راقصة واختلاط لا محدود، ينتهي لعلاقات غير شرعية، حتى وصل الحال بطالب لاحتضان طالبة لفترة طويلة وسط الحرم الجامعي، وأمام نظر أفراد الأمن، ووسط تعليقات منحلة من أصدقاء الطالبين! حدث هذا علنًا، وتم تصويره بالصوت والصورة.

أما ما يحدث في الخفاء فهو أشد وأعظم؛ حتى بلغت بعض التقديرات أن هناك (٢٥٠ ألف) حالة زواج عرفي (زنا)، وما تعبير الزواج العرفي إلا محاولة لتخدير بقايا الضمير الديني بمنح هذه العلاقات مسمى «زواج»!

ولو رصدنا موقف النسويات المصريات من هذا الزواج؛ سنجد أنهن يقلن صراحة: ليس مهمًا حرام هو أم حلال؛ ليست هذه المشكلة، وإنما المشكلة في عدم التوثيق، ومن ثم بعض المشكلات القانونية المرتبطة بإثبات نسب الطفل -مثلًا-، حتى تقول إحداهن موجّهة حديثها للفتيات: لا تريدون أن يَعرف الأهل ولا أي أحد عن هذه العلاقة، ما المانع من توثيق الزواج عند مأذون كي تحفظي حقك وتختبري جدّيته؟

وتريد من الأهل ألا يصدموا عندما يعرفون بأمر الزواج العرفي؛ سواء والد الشاب أو الفتاة ويسعون لتحويله لزواج شرعي، أما في حال هرب الشاب ورفض التوثيق فلا مشكلة -أيضًا-، لأنه يكون درسًا للفتاة[1]، يحدث هذا وسط حملة شعواء على الحجاب ومفهوم الستر، وحملة أخرى على مفهوم العذرية والتقليل من شأنها كأحد بقايا الفكر الرجعي المتخلف! وحملة أخرى موجهه للنساء لاستعادة السيطرة على أجسادهن تحت لافتة: «جسدي ملكي»!

❀❀❀❀❀

(١) https://www.youtube.com/watch?v=cI-٩yZHT٩TM

الحصاد المُـرّ لداعش في العراق

صباح العجاج - كاتب عراقي

خاص بـ «الراصد».

في (حزيـران ٢٠١٤) هيمنـت داعـش تـدريجيًّا وخـلال شهر على جميع المحافظات السنية في العراق، وجاء ذلك بعد عام من الاحتجاجات السنية السلمية (٢٠١٣-٢٠١٤) ضد حكومة المالكي الطائفية، حيث كان السُنة يشعرون بمزيد من الإحباط تجاه مستقبلهم في العراق، لكن الحكومة الشيعية قررت إنهاء الاحتجاجات بطريقة عسكرية، فكان ظهور داعش!

مع ظهور داعش ظنّ بعض قصيري النظر من السنة أن ثمة أملا في المستقبل، وخاصة مع هزيمة الجيش العراقي وانسحابه من أمام داعش، وكان البعض يحلم أن تقوم داعش بالزحف إلى بغداد لتغيير معادلة الحكم في العراق، بهذا التفكير الساذج تأمل بعضهم أن تكون داعش فرجًا لأهل السُّنة!

لكن الأمور سارت بشكل مغاير، وبدأ تراجع وضع السنة في العراق في جميع المناطق، وبدأ السنة يشعرون أنهم دخلوا طورًا جديدًا أسوأ من ذي قبل، فبعد أن كان حكم المالكي مسلّطًا عليهم أصبحت داعش مُسلطة عليهم أيضًا، وأصبحت مناطقهم تنتظر معارك طاحنة بين داعش وبين الجيش العراقي والحشد الشيعي؛ الذي تكوّن بناء على فتوى المرجعية ليحقق الحلم الإيراني بتكوين الحرس الثوري العراقي، وأصبح السُّنة بين سندان داعش ومطرقة الحشد الشيعي كأولى ثمرات داعش؛ وهو ظهور قوى شيعية مرحّب بها رسميًّا، ظاهرها ضرب داعش، وحقيقتها السيطرة الإيرانية على جميع العراق.

سيتناول المقال تأثير وجود داعش على وضع السنة في محافظاتهم، وقبل الشروع بذلك لا بد من الإشارة إلى أن تقدم داعش في المحافظات السنية الخمس، وانسحاب الجيش منها ولّد حركة نزوح لأهل السُّنة؛ خاصة من العوائل الميسورة والمتوسطة التي لم ترغب أن تقع مناطقها بيد داعش، لمعرفتها السابقة بسلوك القاعدة المتطرف والإرهابي في المناطق السنية؛ لذلك حصل نزوح محلي ونزوح نحو منطقة كردستان؛ لكنه كان نزوحًا محدودًا في بداية الأمر.

محافظة ديالى:

محافظة ديالى محافظة زراعية تكثر فيها البساتين والمزارع، وهي المحافظة السنية العربية الوحيدة المحاذية لإيران؛ لذلك اهتمّت إيران بأن يكون لها مركز تواجد عسكري أو الأصح قاعدة عسكرية للحرس الثوري، فكان وجود داعش بداية المبرر لهذا الوجود بحجة التعاون العسكري العراقي الإيراني لمواجهة التطرف والإرهاب، حيث سيطرت داعش على المدن الكبيرة في المحافظة باستثناء مركز المحافظة بعقوبة.

كانت أولى معارك الجيش العراقي والحشد الشعبي في محافظة ديالى، وكانت بداية مأساة سنة ديالى؛ فقد أصبح هناك تهجير كبير للسنة بسبب المعارك وبسبب اتخاذ داعش مناطق وبساتين أهل السنة دروعًا لعناصرها، فهجّر أكثر من نصف مليون سني إلى مناطق كردستان ومناطق خانقين الكردية شرق ديالى؛ لتظهر هناك مخيمات كبيرة وضخمة على عجل، وقبل أن تستكمل الاحتياجات المطلوبة، وعاش أهل السنة فيها مأساة برد شتاء نهاية (٢٠١٤م).

لكن الغريب أن معارك داعش لم تدم طويلًا! فقد غادرت داعش المحافظة بعد اتفاق بينها وبين أحد قيادات الحشد الشيعي، وهو هادي العامري؛ الذي سلم داعش مليار دولار مقابل

انسحابها من المحافظة، وقد كشف هذه الصفقة المشبوهة رئيس مجلس النواب سليم الجبوري ورئيس إقليم كردستان مسعود البرزاني.

ورغم أن داعش خرجت منذ بداية سنة (٢٠١٥) بتلك الصفقة لكن النازحين السنة من أهل ديالى لم يعودوا إلى منازلهم وممتلكاتهم، حيث منعهم الحشد الشيعي من العودة لها، بل حرق الحشد الشيعي بساتين ومزارع أهل السُّنة في حرب اقتصادية ضدهم، وتم اعتقال بعض من لم ينزح بحجة دعم وتأييد داعش! وليومنا هذا لا يزال (٦٠ %) من النازحين من أبناء المحافظة لم يعودوا لها بسبب منع الحشد الشيعي لعودتهم، في أكبر عملية تغيير ديمغرافي في العراق منذ الاحتلال (٢٠٠٣).

وهكذا حققت داعش لإيران ما كانت تحلم به بإيجاد قاعدة للحرس الثوري في ديالى، وتهجير أهالي المحافظة السنة، وتحقيق التغيير الديمغرافي لصالح الشيعة، وبعد أن كان المجلس الإداري للمحافظة بيد أبنائها السُّنة أصبحت تُحكم شيعيًّا، وبين الفينة والأخرى تباشر داعش تنفيذ بعض التفجيرات ليتم اعتقال بعض من تبقى من شباب أهل السُّنة فيها، وحتى يقال: إن داعش منتج سني!!

محافظة صلاح الدين:

سيطرت داعش على هذه المحافظة السُّنية بارتكاب جريمة قتل لأكثر من (١٠٠٠) عسكري شيعي في قاعدة (سبايكر) العسكرية، ثم أغرقتهم في نهر دجلة، هذه الجريمة ولّدت ردة فعل غاضبة لدى الحكومة وجيشها والحشد الشعبي وعوائل الجنود الشيعة، وأوجدت ذريعة للهجوم الشيعي المكثف والوحشي ضد المحافظة وأهلها باسم: محاربة داعش؛ قاتلة الجنود الشيعة!

ولما شنت الحكومة والحشد الحرب على مدينة تكريت وما حولها نزح عنها أبناؤها بالكامل مع سكان مدينة الدور، وخلال أيام معدودة استغرقتها المعارك تم تدمير جزء من المدينة ومؤسساتها الرسمية؛ كجامعة صلاح الدين بعد أن حولت داعش الجامعات والمستشفيات إلى ثكنات عسكرية!

ومرة أخرى جرت صفقة مالية بين الحشد الشيعي وداعش مقابل انسحاب داعش من مدينة تكريت، وفور انسحابها في (١/٤/٢٠١٥) نهب الحشد الشعبي بيوت أهالي أهل السُّنة بالكامل!

وظهرت الحقيقة أن داعش تزحف وتحتل مناطق أهل السنة بذريعة حمايتهم من الشيعة، ثم تعقد صفقة مالية مع الحشد الشيعي على حساب السنة، وتتركهم فريسة بيد الحشد؛ هم وأموالهم، واتخذ الحشد الشيعي من حادثة (سبايكر) ذريعة لاعتقال آلاف الشباب السني بدعوى مشاركتهم في الجريمة.

لم يقتصر الأمر على تكريت؛ فمدينة بيجي -وهي المدينة الثانية بعد تكريت، والتي تحوي أكبر مصفى عراقي للنفط- تكررت فيها نفس المأساة؛ إذ تمركزت داعش في المصفاة وحولتها إلى ثكنة عسكرية، جعلتها مسرحًا وساحة للحرب، وفعلًا تحطم جزء من المصفاة نتيجة القتال، ومن ثم سرق الحشد ما تبقى من المصفاة وأرسله لإيران، وهكذا تم تفكيك المصفاة التي كان يعمل فيها آلاف السُّنة، وتعد من أهم مرافقها الاقتصادية والإستراتيجية.

أما سكان المدينة؛ فقد هجروها بالكامل، وأتهم الكثير منهم بمساندة داعش زورًا، ورغم أن المعارك مع داعش انتهت في (٢٠/١٠/٢٠١٥) إلا أن أهل بيجي ليومنا هذا ممنوعون من العودة إليها، وكذلك سكان منطقة الدور.

أما بقية مناطق المحافظة؛ فقد كانت داعش أعدمت العديد من أهلها السنة بتهمة الوقوف بوجه الدولة الإسلامية، وبعد مغادرة داعش أصبحت هناك ثارات عشائرية سنية سنية، كما

أن المجابهة بين داعش والحشد الشيعي أعطت المبرر للعديد من الأحزاب الشيعية لإنشاء مقرات لها هناك، تستقطب الشباب السني الذي يعاني من البطالة والفقر والنزوح؛ من خلال توفير فرص عمل -ولو مؤقتة- عبر منظمات تتبع الأحزاب الشيعية.

وخوفا من تهمة الدعشنة تعطلت حركة الدعوة وارتياد المساجد في أرجاء المحافظة، ثم يقال بعد كل هذا: إن داعش تعبّر عن أهل السنة!!

محافظة الأنبار:

تتكون محافظة الأنبار من ثلاث مناطق أساسية: منطقة المركز (الرمادي)، منطقة الفلوجة، المنطقة الغربية القريبة لسوريا.

وكالعادة تمركزت داعش في وسط المدينة، وجعلتها هدفًا للحرب والتدمير، ولذلك نزح أكثر الأهالي عن بيوتهم، وقد تسببت المعارك ضد داعش بتدمير ما يقرب من (٨٠ %) من مدينة الرمادي، بسبب حقد الحكومة الشيعية عليها من جهة، وحقد داعش على أهلها لأنهم في (٢٠٠٧-٢٠٠٨) هُم من طردوا تنظيم القاعدة من المدينة؛ حيث دمرت جسور المدينة بتفجيرها من داعش وقصفها من جيش الحكومة! كما تم إحراق مؤسسات الدولة والوثائق الرسمية فيها من قبل داعش ومن قبل الحشد الشيعي؛ وذلك في (٢٠١٥/١٢/٢٨).

ثم تحولت البوصلة في الهدم والتخريب إلى مدينة الفلوجة؛ التي لم يتوقف القصف الجوي والضرب بالمدفعية الثقيلة عليها حتى قتل آلاف الأبرياء من أهلها قبل بداية المعارك! ثم ضُربت المستشفيات؛ مما دفع أكثر أهل المدينة للمغادرة بسبب ذلك، وكانت داعش قد ورطت الكثير من أهل الفلوجة بإجبار الكثير من الشباب على العمل معهم بأعمال غير عسكرية، مما جعلهم جميعًا متهمين بعد خروج داعش منها.

انتهت الحرب بهزيمة داعش في (٢٠١٦/٤/٢٢)، لكن الغريب هو أن هؤلاء المهزومين من الدواعش ظهروا فيما بعد في مناطق أخرى! مما يؤكد أن الحشد الشيعي سهّل انسحابهم تحت غطاء اعتقالهم! وهو ما تبين بوضوح في صفقة حزب الله مع داعش؛ حيث تم نقلهم بباصات مكيفة!!

بالطبع تركت مدينة الفلوجة ونواحيها مباحة للحشد الشيعي؛ الذي يمتلك حقدًا خاصًّا عليها، فحرقت البيوت ونهبت، وصودرت الأموال المنقولة وغير المنقولة، واعتقل الناس بمهانة وذلة، وليومنا هذا لا يمكن الدخول إليها إلا عبر مداخل محددة تحت سيطرة الحشد الشيعي؛ حيث يعتقلون من يشاؤون ويسمحون لمن أرادوا.

وظهر مجموعة من الصوفية المنافقين تحت اسم: الإسلام المحمدي؛ ليمهدوا لدخول التشيع للأنبار وهي المحافظة السنية (١٠٠%)، فبدأت طقوس الشيعة تقام علنًا في الرمادي والفلوجة؛ إما خوفًا منهم أو تزلفًا ونفاقًا لنيل رضاهم، ويقال بعد ذلك: إن داعش عدوة لإيران والحشد الشيعي!!

محافظة نينوى ومعركة الموصل:

احتلت داعش الموصل بحجة تخليص السنة من اضطهاد حكومة المالكي الطائفية، لكنها فعلت فيها ما لم تفعله بأي مدينة غيرها؛ فقد حصرت أهلها وهم أكثر من مليوني شخص، ومنعتهم من الخروج والنزوح، وحولتها إلى مدينة تنفذ بها كل أحلامها.

فقد أجبرت الناس على تنفيذ رؤيتها المتطرفة للإسلام، وعاقبت بالحبس من خالفها حتى نفّرتهم من الإسلام، وحورب من لم يهادن داعش، وحكم عليه بحد الردة، وتم تصفية العديد من الضباط السابقين والأساتذة الجامعيين، وأحرقت آلاف الكتب الأكاديمية في جامعة الموصل.

واهتم الدواعش بجمع المال؛ عبر فرض الضرائب وسرقة المخطوطات الإسلامية من متاحف الموصل، وبيع آثار مدينة الموصل!

ولما كانت مدينة الموصل (مركز المحافظة) الأكبر سنيًّا من حيث عدد السكان بعد محافظة بغداد، والموصل تضم العدد الأكبر من أتباع داعش؛ لذلك كانت هذه هي المعركة الأهم بالنسبة للحكومة العراقية والحشد الشيعي، حيث كانت القوات الحكومية والحشد يريدون الوصول للموصل لمركز محافظة نينوى بتأنٍ ودون عجلة، فتم حشد أكثر من (١٠٠) ألف من العساكر وأعضاء الحشد، وقسمت المعركة إلى معركة تطهير نواحي المحافظة، ثم الساحل الأيسر لمدينة الموصل ثم الساحل الأيمن، ثم مدينة تلعفر.

مع بداية المعارك فُرض حصار شديد على المدنيين من داعش ومن الجيش والحشد، فاتخذت داعش من المدنيين دروعًا بشرية، ومارست الحكومة عقابًا قاسيًا ضد المدنيين للتخلص من داعش، ولذلك تم تحرير الجانب الأيمن للموصل بنسبة دمار (٦٠ %) منها، لكن المأساة الأفظع وقعت في الجانب الأيسر القديم والمكتظ بالسكان؛ فداعش حاربت بين الشوارع، وأمرت الناس بتهديم الحواجز بين البيوت، وحفر أنفاق فيها؛ فدمر كثير من البيوت قبل القتال، ثم دمرت الحكومة وجيشها وحشدها الشيعي الجانب الأيسر بنسبة (٩٠%)، وهزمت داعش؛ كما كان متوقعًا، لكن بعد تدمير المدينة بنسبة (٨٠%)، وبعد أن دمرت جميع جسور المدينة ومعالمها التاريخية، حتى قصفوا أعظم تاريخ تركه الزنكيون للموصل ويتمثل بمنارة الحدباء المشهورة، في حدثٍ بشعٍ، يستحضر حقد الشيعة القديم على مدينة الموصل لأنها المدينة التي استعصت على القائد الإيراني نادر شاه سنة (١٧٤٣م).

واكتشف الناس أن الدواعش هم خليط من سفلة المدينة وسراقها، والمسجونين وأصحاب السوابق، ومرتزقة يتبعون لدوائر مخابرات دولية، ولإيران، وهؤلاء تم تهريبهم، ولم تظهر في وسائل الإعلام جثثهم ولا معتقلوهم!

تم القضاء على داعش ورفعت رايات الشيعة في مدينة الموصل لأول مرة في تاريخها المعاصر، في (٢٠١٧/٧/١٠) بفضل داعش، وأصبحت مسرحًا لجولات القيادات الإيرانية والشيعية.

الخلاصة:

إن خطر داعش أسوأ من خطر إيران وميليشياتها الطائفية في العراق، فلا وظيفة لداعش وراياتها السود سوى توفير مسوغ لتعزيز قبضة التحكم الإيراني في العراق.

وخلاصة ما فعلته داعش في مناطق أهل السنة هو الآتي:

١- **تهجير قسري لأكثر من (٥) ملايين سني،** مارسه الدواعش والحشد الشيعي.

٢- **بعد سنة ونصف على إخراج داعش** ترفض الحكومة الشيعية عودة أهلها لمناطقهم.

٣- **تهديم المحافظات السنية؛** بحيث قدرت تكلفة إعادة إعمارها بـ (١٠٠ مليار) دولار.

٤- **زرع ثارات عشائرية سنية؛** بسبب جرائم داعش.

٥- **إعطاء التواجد العسكري الشيعي في مناطق السنة المشروعية،** بحجة محاربة داعش.

٦- **تجاهل الإرهاب الطائفي الشيعي،** والتركيز على داعش فقط؛ كإرهاب سني ديني.

٧- **هدم عقود من جهود الدعوة الإسلامية السنية الإصلاحية** بتطرف داعش بسنتين.

٨- **ضعف التدين، وظهور الإلحاد** كردة فعل على داعش والأحزاب الإسلامية.

٩ - **إفقار مناطق أهل السنة**، وتحطيم اقتصادهم.

١٠ - **اعتقال الآلاف من السنة رجالًا ونساءً**، بحجة الانتماء إلى داعش.

١١ - **أصبحت طقوس عاشوراء الشيعية** تقام في مدن السنة.

١٢ - **غادرت الكفاءات السنية مدنها** خوفًا من داعش ثم الميلشيات.

❁❁❁❁❁

عاشوراء وجدل الرفض والنصب في القرن الواحد والعشرين!

بوزيدي يحيى- كاتب وباحث جزائري

خاص بـ «الراصد».

اعتادت المجتمعات السنية على تداول أخبار عن طقوس شيعية تقام بين ظهرانيهم مع كل عاشوراء؛ حيث تشير التقارير الإعلامية إلى خروجهم هنا وهناك للمجاهرة بتشيعهم[(١)]، ناهيك عن ممارسات أخرى ما زالت مخفية عن أنظار المجتمع؛ والتي لو كشفت لبان حجم الخطر المحدق به!

والجديد الذي رُصد هذه السَّنة يتمثل في احتفاء بعض المنتمين إلى المجتمعات السنية بهذه المناسبة؛ بالإشارة إلى فضائل الحسين رضي الله عنه وصراعه مع الخلافة الأموية، وقد فتح ذلك جدلًا على مواقع التواصل الاجتماعي، حيث اعتبر البعض مثل هكذا سلوكيات (لوثات شيعية) يجب الحذر منها؛ فانتفض أولئك ضد هذا (الافتراء)! متهمين بدورهم المحذرين بالنصب؛ لتوجسهم من كل مادح لآل البيت.

تبادل الاتهامات بالرفض والنصب في مجتمع سني في القرن الواحد والعشرين يدفع إلى طرح الموضوع للنقاش؛ نظرًا لخطورته، فتخصيص ذكر محاسن الحسين رضي الله عنه بيوم مقتله؛ والذي يوافق يوم عاشوراء؛ الذي حث الرسول صلى الله عليه وسلم على صومه فرحًا بنجاة موسى عليه السلام قبل استشهاد الحسين بخمسين سنة؛ يثير مسألة فقهية تتعلق بالابتداع في الدين، وهذا الجانب له أهله من الفقهاء الذين يقدّرونه وينزلون عليه الأحكام الشرعية المناسبة، وهو

(١) ذكرت جريدة «الشروق» الجزائرية أنه شوهد متشيعون في بعض مناطق الولاية، خلال يوم عاشوراء الذي صادف يوم الأحد، من خلال ارتداء اللون الأسود.

خارج عن نطاق هذه المقالة التي تسعى إلى مناقشة الأفكار المتداولة في الموضوع ومآلاتها الدينية المحتملة.

ومن هذا المنطلق؛ فإن النقطة الجدلية في القضية تحمل بعدين أساسيين:

أولهما: في الأحقية بالحسين، وسحب البساط من تحت الشيعة الذين جعلوا منه رمزًا خاصًّا بهم، فهل ذكر فضائله في هذه المناسبة يحقق الغرض أم وقوع في فخ الشيعة؟

والبعد الثاني: يرتبط بموقف الحسين ﷺ من نقل السلطة من معاوية بن أبي سفيان ﷺ إلى ابنه، والحكم على الخلافة الأموية، فهل ننطلق من هذه الحادثة التي شكّلت منعرجًا في التاريخ الإسلامي للحكم على التجربة بشكل كامل؟ ومرة أخرى ألا يعدّ ذلك وقوعًا في فخ الأطروحة الشيعية؟

- **مِن الأحقية بموسى إلى الأحقية بالحسين:**

حثّ الرسول ﷺ المسلمين على صوم يوم عاشوراء على أساس أحقيتهم بموسى من اليهود، وأكّد في الوقت نفسه على ضرورة التمايز عنهم بعزمه على صوم التاسع والعاشر إذا أدرك السنة التالية، وهذا ما سارت عليه الأمة اقتفاءً لسنته.

ومن اهتموا بمناقب الحسين ﷺ انطلقوا من الخلفية نفسها، فهم يقولون: نحن أحق بالحسين -الذي هو رمز للأمة جمعاء وليس الشيعة وحدهم-، وتداولوا ذكر مناقبه في يوم عاشوراء، غير أنهم أغفلوا في الوقت نفسه الشطر الثاني وهو: التميز عن الشيعة، بكل تأكيد فإنهم لم يدعوا للثأر له أو اللطم وغيرها من البدع التي يمارسها الشيعة، غير أن الاهتمام بالحسين ﷺ في ذلك اليوم خصيصًا يعد تقليدًا للشيعة، وبالتالي يكون مبررًا التوجس الذي أبداه البعض من هذه المحاكاة.

فالمهم في الموضوع: أن هذا اليوم لا يَقترن بمقتل الحسين ﷺ فقط؛ فهو في الوقت نفسه يرتبط بشعيرة الصوم في عاشوراء؛ التي أوصى بها النبي ﷺ، وعند إضافة بُعد جديد لهذه المناسبة والمتمثل في التذكير بحادثة مقتل الحسين ﷺ فإن ذلك يؤدي بشكل أو آخر إلى زحزحة المناسبة عن أصلها الذي وصى به النبي ﷺ إن عاجلًا أو آجلًا؛ لما أحدثه الشيعة لاحقًا!

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن الطقس العاشورائي عند الشيعة لم يكن منذ يومه الأول على هذه الشاكلة التي تتداولها الفضائيات ومواقع الانترنت، وإنما حصل فيه تطور تدريجي، استدخل طقوس أديان أخرى فيه؛ حتى بلغ حد اللطم وضرب الصدور وإراقة الدماء والمشي على الجمر، وغيرها من الطقوس التي تمارس اليوم على مرمى حجر من كبار مراجعهم ولا يستطيعون وقفها مسايرةً لعامتهم!

وبالتالي؛ فإن ما يفعله هؤلاء يفتح بابًا على ممارسات لا يمكن ضبطها مستقبلًا، فإذا كان الغلو والمبالغة في الحسين ﷺ من الشيعة ولّد عند البعض الفكر الناصبي المعادي لآل البيت، فيمكن في المقابل أن يتحول تخصيصه بالمدح يوم عاشوراء -كما يفعل الشيعة- طريقا للتشيع؟ بل هذا الجدل بحد ذاته باب فتنة الأولى وأده في المهد بدل إطلاق العنان له ليستفحل في قادم الأيام، فشبه المؤكد أن هؤلاء سيغفلون عن الاحتفاء والإشادة بآل البيت طوال السنة ليتذكروا في عاشوراء القادمة أن هناك رمزًا اسمه: الحسين حفيد رسول الله ﷺ، ثار على الظلم والطغيان، وعلى عكس السنة التي سبقتها سيزداد عدد المنشورات حول الموضوع، وهكذا حتى يصبح ذلك تقليدًا وأصلًا؛ كما حصلت طقوس شيعية في القديم تأثرا بالعبيديين ولا زالت تمارس دون إدراك حقيقتها، فهل يسن هؤلاء سنة سيئة؟

وعندما أثيرت مسألة وجود مَن هم أكبر شأنًا من الحسين ﷺ قُتلوا؛ وفي مقدمتهم: أبوه علي بن أبي طالب

وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ﭫ، برّر هؤلاء موقفهم بعظمة الحدث الذي لا يمكن مقارنته بغيره؛ فقد صاحبَ مقْتلَه من الأمور الفظيعة كحزّ رأسه الشريف، وتسييره إلى الكوفة ثم إلى الشام مهانًا، وما جرى في أعقاب مقتله من التنكيل بأهل بيت النبوة، مما أثار لواعج الأسى عند المسلمين قاطبة.

أما أبوه عليّ بن أبي طالب ﭬ؛ فقد قتله الخوارج غدرًا وغيلةً وهو يوقظ الناس لصلاة الصبح، ولم يصاحبْ مقتلهَ تلك الفظائع والقبائح التي صاحبت مقتلَ الحسين.

وكذلك عمر بن الخطاب ﭬ، قتله أبو لؤلؤة المجوسي غيلةً في المحراب، ولم يكن لمقتل هؤلاء الصحابة الكرام تلك الرمزية التي كانت لمقتل السبط الشهيد ﭸ.

بكل تأكيد لا يمكن التقليل من حجم الفاجعة، ولكن من حيث المبدأ عظمة الحدث بعظمة المقتول، وليس هول الحدث ما يجعل المقتول أعظم من العظام؛ كما ينبّه على ذلك الشيخ مختار الأخضر الطيباوي، ومن جهة أخرى هل أهمية الفاجعة حقًّا كانت كذلك دون غيرها؟! أم أن الاهتمام بها جعلها تصبح على ما هي عليه الآن؟

فبافتراض أنه حصل شكل من الاهتمام بحادثة مقتل سيدنا عمر بن الخطاب أو علي بن أبي طالب ﭭ وخصا بيوم تعقد فيه مجالس العزاء والحزن، ويذكّر بما حصل له؛ ألن تكون الواقعة هي الأخرى أكثر أهمية مما حصل للحسين ﭬ؟ ولربما يخرج قائل في يوم آخر بأن تلك الوقائع لم تأخذ حقها من اهتمام المسلمين، ولا بد من التذكير بها، وتقام طقوس لأجل ذلك؛ كما حصل مع الشيعة الذين يحيون أكثر من ثلاثين مناسبة تتعلق بولادة ووفاة أئمتهم وعيد الغدير وغيره، فهل توجب مسايرتهم في ذلك لإثبات أن عليًّا والحسن وفاطمة وجعفر الصادق وزين العابدين وغيرهم أئمة للسنة أيضًا؟

ولقد حصل ذلك فعلًا؛ فقد طالب بعض الناس من العراق في هذه السنة برفع شعارات «يا لثارات عثمان»!!

- **الحسين والخلافة الأموية:**

يستحيل الحديث عن سيرة الحسين ﭬ دون التطرق إلى موضوع الخلافة، وتوريثها من طرف معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد، ورفض الحسين لذلك القرار؛ الذي انتهى باستشهاده في كربلاء، وقد كتب عن هذه المسألة كثيرًا، والنقاش مستمر حول القراءة الأنسب لكل تلك الأحداث، والخوض فيها أساسًا من عدمه، وكل المحاولات في هذا الإطار لم تتوصل إلى إجماع تام، لذلك فإن من يطرق هذا الباب يتوقع مبدئيًّا تباينًا في الآراء تبعًا للخلاف أعلاه.

يميل من احتفى بمناسبة عاشوراء بذكر مآثر الحسين ﭬ إلى الرأي الذي يقول بضرورة طرق هذا الموضوع لتصحيح مسار الأمة، وبناء نظرية سياسية إسلامية، ومع كل المحاولات التنظيرية في هذا الجانب إلا أن الواقع لا زال يثبت كل مرة أن ما يحدث هو فقط الإساءة للأمويين، ثم يتبعه فتح أبواب هدم رموز الأمة من رعيلها الأول!

أثبت الواقع أن طرق هذا الموضوع سيبدأ لا محالة بالطعن في الخلافة الأموية ككل، ويفتح بابًا لأحكام مماثلة لما سبقها وما بعدها؛ حتى يصبح الخائضون فيه قاب قوسين أو أدنى من رؤية الشيعة، وقد كان نفس هؤلاء قصيرًا جدًّا إذ رفعوا مباشرة شارة النصب في وجه من حذّر من تسرب التشيع؛ من خلال ما أقدموا عليه عن غير قصد ربما، خاصة وأن طريقة تناولهم للموضوع انحازت لقراءة نبّه بعض العلماء قديمًا أنها تفتح بابًا لتجاوز حق الصحابة ﭫ.

فقد اختصر هؤلاء الحسين ﭬ في موقفه من انتقال الخلافة من معاوية بن أبي سفيان ﭬ إلى ابنه يزيد، وأغفلوا

الجوانب الأخرى من سيرته، وهذه محاكاة حرفية للشيعة الذين اختزلوا حياته العامرة بالبذل والعطاء والجهاد والتّضحية والفداء في يوم واحد هو يوم عاشوراء! حتى يُظنّ أنّه لم يعش في هذه الدّنيا إلا يومًا واحدًا هو (اليوم العاشر من شهر محرّم سنة ٦١هـ)، وأنّه لم يخرج إلى هذه الدّنيا إلاّ ليقتل؟![1]

ولسان حال البعض يرى بأنه من الحق الموجود عند القوم الذي لا يجب رده، وجعلوا من ذلك منطلقًا لتقييم التجربة الأموية في السلطة على الأقل في الشأن الداخلي مع الإقرار على مضض لفضائلها في الشأن الخارجي، وهذا بعد الجدل وليس في الأصل.

والمؤكد -حتى بإزاحة الشيعة من النقاش- أن الانطلاق من حادثة مقتل سيدنا الحسين وغيرها من الممارسات التسلطية التي صدرت من الخلفاء الأمويين لمصادرة إنجازاتهم إذا ما أسقطت على الماضي والحاضر الإسلامي فإنه لن تسلم أي تجربة من أحكام مماثلة، فهذا المنطق لا يليق في التعامل مع من زكاهم القرآن ورسول الله ﷺ، وأوصى بتقديرهم واحترامهم؛ لأن كل شبهة في حق الصحابة ستقابلها شبهة أخرى في حق آل البيت، والنتيجة: الإساءة للجميع دون تحصيل أي منفعة!

فقد يقول قائل -أيضًا-: إن الحسين نفسه شارك في الجيش الذي غزا القسطنطينية في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة (٥١هـ)، وكان أميره يزيد ابنه، فكيف يقبل العيش تحت مظلة سلطة يعلم حالها سابقًا، ويقاتل إلى جانب من قاتَل والده؟ وإذا كانت الملكية مرفوضة من حيث المبدأ؛ فكيف يسعى الحسن لوراثة والده؟ وألا يمكن اعتبار ما أقدم عليه الحسين سعيًا للسلطة على خلفية الأحقية بالدم وليس العلم؟ لأنه كان هناك من هم مثله أو أكثر منه؛ كابن عباس؟

وهل يعتبر ابن عباس نصيرًا للظالم لأنه نصح الحسين بعدم منازعة يزيد، وهل يصبح كل الصحابة الذين انحازوا إلى صف معاوية ضد علي وفق هذا الفهم آثمين، وحتى الحسن لم يسلم من هذه الأحكام بالقول أنه أراد تغيير الظلم، بينما الحسين أراد تغيير الظالم!

كما يلزم هذا المنطق -أيضًا- كيل التهم لكل العلماء بمن فيهم أصحاب هذا الرأي، إذ كيف يدينون الملكية ويعتبرونها خروجًا عن مبادئ الإسلام وفي الوقت نفسه يعيشون في كنف نظام ملكي ويؤيدون سياساته؟ وقد تعزى -مثلًا- مواقف الشيخ يوسف القرضاوي المؤيدة للثورة المصرية إلى حقده على النظام المصري الذي كان يضيق عليه، وأنها كانت مسايرة للسياسة الخارجية القطرية التي منحته الجنسية، وقربه أميرها منه، وقبلها يتهم بأنه سوّق المشروع الإيراني نظرا للشهرة التي تحققت له قبل الثورات، وأنه لما استشعر انكشاف المشروع لعامة المسلمين سارع للقفز من السفينة الإيرانية قبل غرقها.

وحتى تجربة حركة حماس التي تسوق على أنها النموذج الأشرف والأفضل الذي يعبر عن المقاومة الإسلامية؛ إذا طبق عليها هذا المنطق المستخدم ضد خلافة بني أمية فسنجد أنها قامت بتصرفات تمنح خصومها حق اتهامها بمعاونة الظلم والظالم؛ بتواصلها ومدحها لإيران برغم ما فعلته بحق المسلمين من جرائم في العراق وسوريا، ومع ذلك تعود حماس للإشادة بها ولا تجد غضاضة في مد يدها للأيدي التي تقتل المسلمين منذ سنوات بل عقود، كما أنها بعد أن حسمت الخلاف مع السلطة الفلسطينية بالسلاح ولعقد كامل وهي تتحدث عن عمالة السلطة للاحتلال وتنسيقها الأمني معه، ثم عادت لتصالح من كانت تصفهم بالخونة!

(١) سلطان بركاني، «الحسين.. قُدوة الأبرار ومُلهم الأحرار»، جريدة «الشروق»، (٢٨/٩/٢٠١٧)، على الرابط:
https://www.echoroukonline.com/ara/articles/٥٣٥٣٥٣.html

بكل تأكيد الصورة ليست سوداء أو بيضاء بهذا الشكل، والعدالة التي يطالب بها المسلم حتى مع من يرتكب عدوانًا بحقه تلزم بذكر المحاسن ثم الإشارة إلى الأخطاء؛ مع ذكر أسبابها والخيارات الأنسب للخروج منها، وغير ذلك.

وتلمس الأعذار لهذا الطرف أو ذاك في وقائع نعيشها اليوم ويشاهدها الجميع يفرض التعامل بالمثل مع ما حصل في القرن الإسلامي الأول، بل أكثر من ذلك يفضل عدم الدخول في هكذا نقاش أساسًا، لأنه كان وسيبقى غير مجدٍ في كل حال من الأحوال، لأن هذه المسائل ظنية، ولا يمكن الحسم أن هذا الصحابي أو ذاك كان مجتهدًا في هذا الموضع، ومتبعًا للهوى في موضع آخر، ومقصرًا في الاجتهاد في موضع ثالث، لأنه عند التنقيب في التاريخ سنجد من الدلائل ما يثبت هذا الرأي وينقضه.

- **الخلاصة:**

سُنيًّا لا يحتفي المسلمون بأي مناسبة متعلقة بشخص بحد ذاته؛ بما في ذلك مولد الرسول ﷺ الذي هو محل جدل فقهي، وكل المناسبات الأخرى لا تتجاوز أحاديث خطب الجمعة والدروس وغيرها، وهذا أحد الأسس التي تحول دون تحولها إلى الرهبانية التي حذر منها القرآن الكريم، ومنطق الأولويات يفرض التركيز في مناسبة عاشوراء على كشف حقيقة المعتقدات الشيعية في آل البيت، وفصل ذلك الارتباط بهم، أما فضائلهم فهناك أيام طويلة ووسائل كثيرة للحديث عنها.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن الدعاة وغيرهم من المنشغلين بهذه القضايا لمعرفتهم بمكانة آل البيت عند أهل السنة فلا يولونهم الأهمية نفسها مقارنة بالصحابة المظلومين الذين لا يكف الشيعة عن التعريض والطعن الصريح بهم؛ خاصة بعدما أصبحت لديهم مئات الفضائيات وآلاف المواقع الإلكترونية.

ولكن في المقابل؛ فإن مغالاة الشيعة في آل البيت شكلٌ آخر من الظلم يتوجب الوقوف عنده كثيرًا؛ للموازنة وسد كل النوافذ التي قد يتسرب منها الفكر الناصبي أو الرافضي على حد سواء.

وتبقى أحداث القرن الأول عامة بتشابكاتها عصية على الاستيعاب لكثير من الناس عند محاولة التدقيق في كل جزئياتها، لذلك فإن القراءة الكلية هي السبيل الأنجع لتجاوز المتاهات التي ترافق طرحها، وتنتهي بجرأة على الصحابة وآل البيت؛ على حد سواء، دون أن تقدم إضافة للأمة.

ومحاولة التأسيس لنظرية سياسية إسلامية في الحكم لا تستلزم بالضرورة الوقوف عند تفاصيل الأحداث، والبحث في خلفيات القرارات التي اتخذها هذا الطرف أو ذاك؛ لأنها في النهاية ستقود إلى إصدار أحكام فيها قدر من سوء الظن.

فمِن الحيويّ لأمّتنا أن نكُون قادِرين على ترك مِثل هذا الماضِي المضطِرب حيثُ هو، لأنَّه لِصُنع عالمِنا الجَدِيد لا بدَّ أن نُعطي الحاضِر كلَّ فُرَصِه، ولتَكوِين حاضِرنا يجِبُ أنْ نكُون قادِرين على نِسيَان ما يجبُ نِسيانه.

وما يصنَعه بعضُ النَّاس -اليوم- بالعودَةِ إلى تِلك الفَترة هو مَيلٌ إلى التَّاريخانيَّة، إلى تَحمِيل الحاضِر بِكلِّ المقابَلات والمقارنَات التي لا جَدوى مِنها، مِثل هذا التَّارِيخ الذي يُروِّجون له يجعلُ مِنَّا واصِلين مُتأخِّرين؛ كالذين فاتَهُم الحدَثُ، فَينظُرون ماذا يُمكِنهم فِعله لجَبرِ وتَعويضِ تأخُّرِهم؛ فيُصبِحون في الحاضِر ضُعفَاء كالخرقاء لِماضٍ يجبُ أنْ يكونَ دائمًا برَّاقًا أكثَر مِن حاضِرنا الحَقِير والخاوِي، أو يُصبِحون مُدَّعِين لِفهمٍ مُعاصر يقفِزُ مِن أخطاء تأوِيل في حادثةٍ ماضيةٍ إلى نَسخ كلِّ فَهمِ السَّلف لِلدِّين![1]

(١) مختار الأخضر الطيباوي، التعليق على كتاب «الخلافات السياسية بين الصحابة»، صفحة الشيخ على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، (٥/ ١٠/ ٢٠١٧).

ولا يعني ذلك: جعل الجميع في مستوى واحد، وعدم إنكار ما هو بيّن، فجماهير المسلمين يلعنون الظّالمين بالعموم، ويلعنون قتلة الحسين والرّاضين بقتله بالخصوص، ولكنّهم لا يلعنون معيّنًا باسمه؛ لا من قتلة الحسين، ولا من قتلة عثمان، ولا من قتلة عبد الله بن الزبير.

إنّ قاتلي الحسين قد أفضوا إلى ما قدّموا، فلماذا تُفرّق الأمّة بلعن الأبرياء من الصّحابة والخلفاء؟! ولماذا تؤجّج الضّغائن والأحقاد على أمّة الإسلام وعلى تاريخها؟[1]

❀❀❀❀❀

(١) سلطان بركاني، المرجع السابق.

حين يكون الغناءُ سلاحًا للفرق المنحرفة

حمير الحوري- كاتب يمني

خاص بـ «الراصد».

يلحظ كل متابع وجود خاصية مشتركة فاقعة اللون وشديدة الحضور بين معظم الفرق المنحرفة، وهي: كثرة اعتنائها بالإنشاد والغناء واستغلاله في ترويج باطلها، بل أصبح لتلك الفرق رموز غنائية وإنشادية تضاهي من حيث الشهرة والتأثير -أحيانًا- الرموز العلمية والمشيخية لتلك الطوائف!

ومع تعدد الفرق والطوائف المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة؛ فإن كل فرقة تسعى لترويج ما تعتقده وتؤمن به بطبيعة الحال، ولكل فرقة منها أساليبها وطرائقها الخاصة في تثبيت أتباعها، أو ضم أتباع جدد، وتوسيع دائرة جماهيرها، ومن الطرائق التي تلجأ إليها كثيرًا من تلك الفرق: الغناء والإنشاد.

وبعكس اهتمام الفرق المخالفة بالغناء والنشيد؛ نجد اهتمام أهل السنة بالقرآن تلاوةً ودراسةً وحفظًا، ولا عجب أن يكون مشاهير قراء القرآن والمبرزين فيه من أهل السنة؛ فهم يتذاكرون الآثار الواردة في ذلك، ويحببون لأبنائهم ترتيله وتحسين الصوت بقراءته؛ مستندين لما ثبت عن النبي ﷺ في ذلك؛ كما في حديث: «زينوا القرآن بأصواتكم»، و«ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن»، و«لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير آل داود»، يعني: أبا موسى، فقال أبو موسى: لو كنتُ أعلم أنك كنتَ تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيرًا!

والغناء المنسوب للدين يُعرف عند السلف بالسماع، وهم

كلام واسع في تحريمه والنهي عنه، وحكى الإجماع على تحريمها القرطبي وأبو الطيب الطبري وابن الصلاح وابن القيم وابن رجب الحنبلي وابن حجر الهيثمي وابن تيمية.

غير أن اهتمام تلك الفرق بالغناء له أسبابه، فنظرًا للضعف العلمي والأصولي الملازم لما تقوم عليه تلك الفرق من عقائد ومفاهيم باطلة؛ اتجهت لتعويض ذلك في الاعتناء بالغناء والنشيد في نشر أفكارها وعقائدها وتضليل أتباعها؛ فقد أدركت تلك الطوائف أن للنشيد والغناء تأثيرًا واضحًا على السلوك والتوجهات.

وهذه الحقيقة ثابتة قديمًا وحديثًا؛ «فعند سماع الإنسان لنغمات الموسيقى تحدث بعض التغيرات الكيميائية؛ والتي يمتد تأثيرها إلى جميع حواس الإنسان، بما فيها التفكير والتنفس والعاطفة، والسبب في ذلك أنه عندما يسمع شخص الموسيقى فإنها تُحفز المخ على إفراز مادة (الإندروفين) التي تقلل من إحساس الإنسان بالألم؛ فيثار المستمع، وينتشي بها، فتغلق منافذ الإدراك لديه، ولا تراه إلا منشغلًا بها كالمسكر!»[1].

ومما زاد من اعتناء تلك الفرق بالغناء إدراكها بأن الغناء والنشيد يعدان من الأمور المحببة لكثير من النفوس، وهما مادة مرغوبة عند عدد غير قليل من الناس؛ إذ تشغل الكثير من اهتمامهم وأوقاتهم.

ولكي تصل الفِرق المخالفة لمعظم فئات المجتمع؛ خاصة النساء والشباب كشريحة يسهل التأثير عليها من الناحية الفكرية؛ اعتمدت تلك الفرق على نقل مفاهيمها وعقائدها لتلك الفئات من خلال الغناء والنشيد، فقصيدة الصوفي ابن الفارض «عذب بما شئت» التي لُحنت؛ بلغ عدد مشاهديها على اليوتيوب أكثر من (٣ ملايين) مشاهدة! وهو ما يعكس مدى خطورة الغناء والنشيد من ناحية عدد المهتمين به، وسعة جمهوره، وحجم المتأثرين به.

◘ الغناء الصوفي:

الغناء والموسيقى الصوفية يعدها أتباع الطرق الصوفية موسيقى تعبدية روحية! وهي مستوحاة من أعمال شعراء الصوفية أمثال: جلال الدين الرومي، وحافظ الشيرازي، وبلهي شاه، وأمير خسرو، وخواجا غلام، وتعد تركيا أول دولة اهتمت بفن الصوفية إبان حكم الدولة العثمانية[2].

وتعد **الطريقة المولوية** التي أسسها الأفغاني جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢هـ)، الشكل الأكثر شهرة في الموسيقى الصوفية عند المتصوفة من العرب، في حين يمثل القوالي التي أسسها الهندي أمير خسرو في القرن الـ (١٤) الطريقة الأكثر شيوعًا في الثقافة الصوفية لدى المتصوفة في جنوب آسيا، وتعد دول إندونيسيا وأفغانستان وصولًا للمغرب مراكز أساسية للموسيقى الصوفية وامتدادًا لممارساته، كما تعتبر موسيقى «غناوة» في غرب أفريقيا شكلًا آخر من الصوفية[3].

ومما أسهم في انتشار الغناء الصوفي -أيضًا- غناء الأشعار الصوفية من قبل بعض مشاهير المغنين؛ فأغنية قصيدة الحلاج «إذا أهجرت» بلغ عدد مشاهديها على يوتيوب أكثر من مليونين ونصف مليون مشاهدة!

---

(١) (تأثير الغناء على التوجهات والسلوك) مقال لمحمد الغنيمي، منشور على الشبكة العنكبوتية.

(٢) «الصوفية.. أصل حكاية الموسيقى العربية»، لمحمد عبد الكريم.

(٣) الموسيقى الصوفية، (ويكيبيديا).

وأصبح للغناء الصوفي فرقه ومدارسه، ومن الفرق الغنائية الصوفية المعاصرة: «فرقة ابن عربي»، واسم الفرقة جاء تيمنًا بالشيخ محيي الدين ابن عربي، ناشرة لأفكاره وأشعاره، ونقلت هذه الفرقة ملامح التصوف في الأندلس؛ من خلال إحياء الموسيقى الصوفية التي كانت معروفة هناك، ومن خلال استخدام أشعار كبار المتصوفين الأندلسيين والمغاربة والمشارقة.

هذا الحضور الغنائي الصوفي وارتباطه في كثير من الأحيان بالفلكلور والتراث الشعبي جعل كثيرًا من أفكار وعقائد التصوف الباطلة تتسم بالتأثير العميق في وسط المجتمعات المسلمة، دون وعي من تلك المجتمعات، ونتيجة لأن كثيرًا من المتابعين لتلك الأغاني والأناشيد يدفعهم للتأثر بها العاطفة الدينية دون إدراك منهم لما تتضمنه من انحرافات ومفاهيم خاطئة.

◘ الرواديد الشيعة:

بالنسبة للإنشاد الشيعي؛ فقد ازدهر خلال العقود الأخيرة، وأصبح له مدارسه ورموزه، ويمكن أن نشير هنا إلى حجم الحضور الذي يحققه ما يعرف «برواديد الشيعة»؛ والذي تخطى كثير منهم المراجع الشيعية من حيث الجماهيرية والحضور؛ فقد بلغ عدد مشاهدي قصيدة «براءة العشق» للرادود حسين الكربلائي قرابة (٥٠ مليون) مشاهدة! وأداؤه لقصيدة «بنات النبي ﷺ» على اليوتيوب حققت قرابة (٣٣ مليون) مشاهدة، وكثير من أغاني الشيعة وأناشيدهم تحظى بمشاهدات عالية جدًّا على الشبكة العنكبوتية، وليست مقتصرة هذه الأعداد على الرادود حسين الكربلائي فحسب، فالرادود الشيعي حسين فيصل حظيت أنشودته «جنوني» بـ (٢٨ مليون) مشاهدة على اليوتيوب.

ولم يكتفِ الغناء الشيعي بالأناشيد الموجهة للكبار فقط، بل حظيت المرأة والطفل والشاب باهتمام الغناء الشيعي؛ فالطفل الرادود «مسلم الكعبي» و«عمار الحلواجي» تتخطى بعض أناشيدهما حاجز (٨ ملايين) مشاهدة على يوتيوب.

كل تلك الأناشيد وذلك الغناء الشيعي يقدم كثيرًا من عقائد وأصول التشيع الإمامي؛ بقالب فني وبكائي مثير! ولا تكاد تخلو لطمية أو حسينية أو مناسبة شيعية من حضور الرواديد ونشيدهم، وكلها ترسخ العقائد الباطنية والتفسيرات التاريخية الباطلة المليئة بالحقد على صحابة النبي ﷺ، والغلو في آل بيته الكرام.

كما وظفت الجماعات الشيعية الغناء والإنشاد أيما توظيف في قضاياها السياسية، والترويج لتنظيماتها المتطرفة! فحزب الله الشيعي اللبناني له فرقه الغنائية والإنشادية التي تمد أتباعه بالحماس والانتصارات الوهمية، وكلنا نذكر مشهد الرئيس الإيراني أحمدي نجاد وعيناه تسيلان بالدمع تأثرًا بأداء إحدى فرق الإنشاد التابعة لحزب الله أثناء زيارته إلى لبنان.

وفي ما يشبه التحالف الغنائي المسيحي الشيعي! غنت المطربة المسيحية «جوليا بطرس» أغنيتها الداعمة لحزب الله والجيش السوري: «أطلق نيرانك لا ترحم»، كما أصدرت أغنية خاصة لقوات الحشد الشيعي العراقي؛ والتي كانت باسم «أحبائي»!

لقد استطاع الإنشاد الشيعي تقديم كثيرٍ من عقائد الإمامية الباطلة في قالب فنيٍ يسهل ترديده وحفظه، كما غذت الفرق الإنشادية الإمامية وسائل الإعلام الشيعية بمواد غنائية وإنشادية كثيفة، أسهمت في إحياء التراث الشيعي وازدهاره، وهو تراث باطني مليء بالانحرافات والعقائد الباطلة.

■ **الزوامل الحوثية:**

«**شاب في العشرينات، ينضح بالحيوية والشباب والجهل أيضًا!** يشاهد ويستمع لزوامل وأناشيد حماسية وتحريضية، وضعت في سياقات تدعو للأنفة ورفض الضيم والظلم والعدوان؛ كما يراد لها أن تعرض، واستجابة منه لتلك الإيحاءات والمعاني العاطفية والنفسية التي تحتشد في مضمون تلك الزوامل والأهازيج، ودون إدراك لأبعاد الصراع وسياقاته السياسية والمذهبية؛ يلقي ذلك الشاب بنفسه في جبهات القتال تأثرًا بزامل ونشيد صاغته جماعة سلالية متحالفة مع نظام فاسد وعميلة لدولة صفوية حاقدة!».

هذا المشهد ليس مقدمة إنشائية لا أساس لها من الصحة، بل إن الواقع يصدقها ويؤكدها، فكثير ممّن التحق بجماعة الحوثي كان دافعهم لذلك ما يسمعونه ويشاهدونه من تلك الزوامل والأناشيد التحريضية، المتلئة بكل صور التزييف والخداع الإعلامي والنفسي، ولعل هذا ما يفسر وجود عدد غير قليل من الأطفال والشباب ومن هم في سن المراهقة في صفوف هذه الجماعة العنصرية.

وقد تتبعتُ جُملة من تلك الزوامل والأناشيد التي تنتجها آلة الإعلام الحوثي ودائرة التوجيه المعنوي في الجماعة، وخرجتُ بمجموعة من السمات والصفات التي تتصف بها هذه الزوامل والأناشيد؛ سواء كانت مسموعة أو مرئية، ألخصها فيما يلي:

■ **زوامل تعتمد على إبراز صفات الرجل العربي، والاعتزاز بالانتماء الوطني؛** بحيث يتم وضع هذا المعنى في السياق الكلي للزامل والنشيد، الهادف لقصر هذا المعنى على (أنصار الله) دون غيرهم!

■ **ربط صفة الجهاد والاستشهاد وتعزيز الصورة الذهنية في عقلية المستمع حول ذلك؛** بحرب الجماعة لمخالفيها، وتقديم من قُتل منهم على أنهم (رجال الله) وأولياء الإمام علي رضي الله عنه.

■ **كثافة الإنتاج لتلك الزوامل والتكرار لمعانٍ محددة وصور مقصودة فيها وبشكل مكثف،** وما ينتج عن ذلك من أثر يدفع المستمع دفعًا للتأثر وتصديق ما يرد على ذهنه منها مع مرور الوقت.

■ **أداء فني وتصوير موسيقي وبصري عالي الدقة،** يحفز النفس ويلعب على وتر العاطفة، ويغيّب المنطق عبر جذب الانتباه وإثارة الاهتمام، ولهذا نجد الكثير من مخالفي الجماعة والرافضين لها يستمعون لتلك الزوامل لمجرد الاستمتاع والترويح عن النفس!

■ **لغة التحريض والعنصرية والتضليل فيها صفة مشتركة وسِمة بارزة،** وهذا يعكس طريقة تفكير الجماعة وسلوكها العنصري، ونظرتها الاستعلائية للمخالف!

■ **ترميز قيادات الجماعة وتقديمهم في سياق بطولي،** وما يحدثه ذلك في ذهن المتلقي العادي من معاني الاحترام والتقدير لها!

■ **ربط مشاهد التدريب والقتال، وعرض صور تضخيمية وخادعة** عن قدرات الجماعة القتالية أثناء بث تلك الزوامل، وما ينتج عنه من أثر سمعي وبصري على المشاهد العادي!

■ **استغلال كل المناسبات الدينية والوطنية وصياغة الأناشيد والزوامل فيها،** ونشرها وبشكل مكثف عبر مختلف وسائل الإعلام.

قد لا يدرك الكثيرون خطورة هذه الزوامل والأناشيد، ويعتبرونها مجرد أداء عاطفي خادع، غير أن الحقيقة الاجتماعية

تقول: إن الجماهير والمجتمعات عاطفية بطبيعتها، وأنها تتأثر بما يلقى عليها؛ حتى وإن كان عاطفيًّا وغير منطقي! وإن أجيالًا من الشباب وفئات من العوام سينشؤون على سماع هذه الزوامل ومعانيها، وقد يعتنقون مع مرور الوقت ما يرد على أذهانهم من معتقدات ومعان تضمنتها تلك الزوامل والأناشيد.

توظيف الغناء اليوم في حرب الأفكار:

لما للغناء والنشيد من شعبية وقبول بين الجماهير فقد اعتنت الفرق بذلك عناية بالغة منذ القدم، ولكن الجديد في عصرنا هو: ما يحظى به هذا الغناء والنشيد في كثير من الأحيان بدعم ورعاية دولية، واهتمام من الحكومات المحلية، لنشر مفاهيم تلك الفرق وعقائدها الباطلة بين الجمهور من خلال الغناء والنشيد!

ولا أدلّ على ذلك من مهرجان الموسيقى والغناء الصوفي الدولي والتراثي؛ الذي أقيم في الأردن، وهو يختص بالغناء والموسيقى الصوفية، وشاركت فيه فرق أردنية وعربية وإسلامية وغربية، وقد تم افتتاح الدورة الأولى منه عام (٢٠٠٨) في عمّان، في المركز الثقافي الملكي، بتنظيم من المنتدى الأردني للموسيقى، بالتعاون مع وزارة الثقافة الأردنية وأمانة عمان الكبرى.

وأيضًا مهرجان «سماع» الدولي للإنشاد الصوفي؛ الذي يعقد بمصر، وبرعاية حكومية، وقد أتم المهرجان دورته العاشرة هذا العام.

التنبه لهذا المنحى الجديد يدعو أهل الحق لبذل مزيد من الجهود في بيان العقائد والمفاهيم الإسلامية الصحيحة، وتنويع أساليبهم وطرائقهم في خطاب المخالفين وأتباعهم على حد سواء، وأن يولوا النشيد -وفق الضوابط الشرعية- مزيد اهتمام ورعاية؛ لما له من تأثير محلي وعالمي واسع.

الشيعة العرب
والولاء التائه بين الأوطان وإيران

أسامة الهتيمي - كاتب مصري

خاص بـ «الراصد».

على الرغم من أن الشيعة وطيلة تاريخ الدول الإسلامية أثاروا القلاقل والتوترات لهذه الدول؛ إلا أن هذه الدول الإسلامية المتعاقبة تحسم الموقف دائمًا وتنتصر، فالسنة هم التيار الغالب في الأمة.

ومنذ أن قامت الدولة الصفوية الشيعية (١٥٠١-١٧٤٠م) -والتي تزامن وجودها تاريخيا مع الدولة العثمانية- فكانت محطة خطيرة ومهمة للغاية في تحول العلاقة بين السنة والشيعة؛ ذلك أن إسماعيل الصفوي (١٥٠١-١٥٢٤) أجبر أهل إيران السنة على اعتناق المذهب الشيعي؛ فقتل منهم نحو مليون شخص خلال عملية التشييع الإجباري.

ومن ثم اندلعت حروب طاحنة بين الصفويين والعثمانيين، وسعى الصفويون إلى انتزاع العراق وبذل كل الجهد للتوسع على حساب الحدود العثمانية، الأمر الذي كان سببًا رئيسًا في وقف الفتوحات الإسلامية في أوربا آنذاك؛ حيث اضطر السلطان العثماني إلى العودة لتأمين حدود دولته وترك الفتوحات.

كذلك فقد عملت الدولة الصفوية على التواصل مع الشيعة في العراق، والعمل على استقطابهم واستمالتهم، وقد نجحت في ذلك إلى حد ما، وهو النهج الذي سارت عليه الدول التي أعقبت الصفويين؛ كالدولة الأفشارية (١٧٣٦-١٧٩٦م)، ثم الدولة القاجارية (١٧٩٤-١٩٢٥م)، ثم الدولة البهلوية (١٩٢٥-١٩٧٩م)، ثم دولة الملالي المعاصرة.

وكان لسلوك بعض الشيعة المقيمين على أرض العراق؛ والذين كان منهم من ينتمي للعرق العربي، ومنهم من ينتمي

لأعراق أخرى أبرزها: العرق الفارسي؛ أثر سلبي في توتر العلاقة بين كل من السنة والشيعة في العراق، وكانت تقف خلفه الكثير من الأسباب السياسية المتعلقة بالنزاع بين العثمانيين والدول الشيعية المتعاقبة في أرض فارس؛ فضلًا عمّا حفظته الذاكرة العراقية من المآسي والمذابح التي شهدها أهل السنة على يد الصفويين؛ إذ تروي المصادر أنه لما دخل الصفويون بغداد عام (١٥٠٨م) قاموا بهدم ما كان فيها من قبورِ أئمة أهل السنة، وذبح جماعة من علمائهم، وأعلن إسماعيل الصفوي سب الخلفاء، وقتل الكثير من أهل السنة، ونبش قبر أبي حنيفة.

وهو ما كان في نهاية الأمر دافعًا قويًّا لأن يتم الطعن في عروبة شيعة العراق وولائهم؛ خاصة وأن بعضهم كان لا يعد نفسه جزءًا من الدولة، وسلك سلوكًا مشينًا ضدها.

لكن تسامح العثمانيين وعدم طائفيتهم هو ما كان عاملًا مهمًا في بقاء شيعة العراق حتى اليوم؛ والذين ينتشرون في كل أنحاء العراق، وينتمون إلى كل الأعراق، بل إن القبائل ينتسب بعضها إلى أهل السنة فيما بعضها الآخر ينتسب إلى الشيعة، وهو ما يؤكد عدم صحة الروايات الطاعنة في العثمانيين؛ والتي تزعم قيام مجازر بحق الشيعة العراقيين.

ثورة (٧٩)، والتحول المصيري:

إن كنا تحدثنا في السطور السابقة عن أن الدولة الصفوية مثلت محطة خطيرة ومهمة في تاريخ العلاقة بين السنة والشيعة؛ فإنه ليس من المبالغة في شيء القول بأن ثورة الخميني عام (١٩٧٩) كانت تحولًا مصيريًّا في هذه العلاقة؛ فقد اعتمد الرجل نظرية فقهية جديدة هي: نظرية «ولاية الفقيه»؛ التي تعد انقلابًا على الفكر الشيعي التقليدي؛ إذ «يغلب على الفقه الشيعي الاثنى عشري التقليدي الطابع الفردي، ولم تكن مسألة الحكم والدولة من المسائل الخاضعة للبحث إلا بقدر ارتباطها بالفرد، مما يتطلب ملاحقة عدد من الجزئيات المتناثرة في مسائل فقهية وعقائدية في عصور سياسية متعددة، كلها تشير بوضوح تام إلى أن الفقه والفقيه الشيعي (بوظيفته الأصلية) لم يكن واردًا أن يقوما بالتنظير أو التعاطي مع السلطة الزمنية إلا بوصفها موقعًا مقابلًا منفصلًا تمامًا؛ قد يمكن التعامل معه إيجاباً أو سلباً»[(١)].

وفي هذا الإطار؛ فإنه من الراسخ لدى الشيعة انتظار عودة الإمام الغائب محمد بن الحسن العسكري؛ الذي -وبحسب الروايات الشيعية- ولد عام (٢٥٥هـ)، غير أن والده أخفاه عام (٢٦٠هـ) خوفًا عليه، فكانت غيبته الصغرى التي امتدت لمدة (٧٥) سنة كان يتصل خلالها بشيعته من خلال أربعة سفراء، ثم غاب غيبة كبرى عام (٣٢٩هـ)[(٢)].

غير أن المدة طالت ولم يعد الإمام الغائب! وهو ما أدى في نهاية الأمر إلى أن يقوم بعض الفقهاء الشيعة بتقديم نظريات جديدة تحل هذه الإشكالية، والتي تبلورت في «ولاية الفقيه»؛ التي التقطها الخميني وطورها لتكون سنده في إقامة دولته الجديدة.

في كتابه «الحكومة الإسلامية» يقول الخميني: «لو قام الشخص الحائز لهاتين الخصلتين (العلم بالقانون والعدالة) بتأسيس الحكومة تثبت له نفس الولاية التي كانت ثابتة للرسول الأكرم (ص)، ويجب على جميع الناس إطاعته.

فتوهُّم أن صلاحيات النبي (ص) في الحكم كانت أكثر من صلاحيات أمير المؤمنين (ع)، وصلاحيات أمير المؤمنين (ع) أكثر من صلاحيات الفقيه؛ هو توهم خاطئ وباطل»!

---

(١) (نظرية ولاية الفقيه وتداعياتها في الفكر السياسي الإيراني المعاصر)، شفيق شقير، على الرابط:

http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/b٨٩d٢٨٣١-٢b٤٦-٤٦٢f-٩b٥c-٧٧٦d١b٠edd٨٠

(٢) الأئمة الاثنا عشر، (ويكيبيديا)، على الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%A٣%D٨%A٦%D٩%٨٥%D٨%A٩_%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%A٧%D٨%AB%D٩%٨٦%D٨%A٧_%D٨%B٩%D٨%B٤%D٨%B١

وقد تمكن الخميني عبر طرح هذه النظرية من أن يحظى بالدعم والتأييد ليكون في صدارة المشهد السياسي والديني في إيران؛ لتصبح له كل الصلاحيات المطلقة، وتكون سلطته فوق كل سلطة، غير أنه لم يكتفِ بذلك، فالهدف الذي يسعى له أكبر من هذا بكثير! فبدأ يعمل على توسيع نفوذه تحت ستار مبدأ جديد أسماه: «تصدير الثورة»؛ الذي كان معناه الظاهري: العمل من أجل قيام ثورات مشابهة للثورة في إيران في جميع الدول ذات النظم الاستبدادية، غير أن حقيقته التي تكشفت يومًا بعد يوم هي: حشد الروح الطائفية لكل شيعة الدنيا خلف قيادة الثورة المزعومة من أجل دعم إيران في مشروعها الجديد.

وبالطبع فإن هلامية الشعارات التي رفعها الخميني وثورته؛ فضلًا عن جاذبيتها في ذات الوقت؛ كانت أحد أهم العوامل الرئيسة التي ساعدته ورجاله على النفاذ إلى الكثير من أبناء الأمة العربية والإسلامية، وليس الشيعة فحسب، وهو ما مكّنه من كسب شعبية واسعة؛ حيث رأت فيه الجماهير المخلّص للأمة مما تعانيه، فاتسعت رقعة التشيع السياسي إلى حد دفع إيران وثورتها إلى أن تخطو الخطوة التالية للعمل على تحقيق أهدافها الخاصة، وهو ما كان بمثابة بدء عملية التعري لها، والتي تنبه إليها البعض فيما بقي البعض على حالة استغفاله!

وكأن إيران أدركت أن لحظة الصدام قادمة لا محالة، ومن ثم فقد قدّمت نفسها للشيعة العرب وغيرهم باعتبارها قبلتهم والمدافع عنهم، والقوة التي ستستعيد حقوقهم المسلوبة وترفع عنهم المظلومية التي عاشوها لقرون، فمزجت خطابها السياسي بخطاب عقدي إلى الدرجة التي يصعب فيها على الكثيرين أن يميزوا بينهما، فيكون المتلقي أسيرًا لكل ما تقوله إيران وتدعو إليه؛ حتى لو كان متجاوزًا للمنطق والعقل بل وللنص الديني أيضًا!

إشكالية الولاء والانتماء:

في تصريحات إعلامية عام (٢٠٠٦) قال الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك في سياق حديثه عن الدول العربية المجاورة للعراق: «فيه شيعة في كل الدول دي بنسب كبيرة جدًّا، والشيعة ولاؤهم لإيران.. أغلبهم ولاؤهم لإيران.. ولاؤهم مش لدولهم المعنية»[(١)]، وهي التصريحات التي أثارت ضجة كبيرة وردود فعل عاصفة؛ سواء في العراق أو لدى بعض القيادات الشيعية في بقية البلدان، الأمر الذي دفع المتحدث الرسمي باسم رئاسة الجمهورية المصرية إلى أن يصرح بأن ما تضمنه حديث مبارك حول العراق إنما يعكس قلقه البالغ من استمرار تدهور الوضع الراهن، وحرصه على وحدة العراق وشعبه، بل ودفع مبارك نفسه إلى أن تصريحاته لا تحمل أي إساءة أو تشكيك في ولاء الشيعة العراقيين.

وبالطبع لاعتبارات سياسية فقد تم تمرير هذه التصريحات؛ خاصة وأن الدبلوماسية المصرية لعبت دورًا كبيرًا في احتواء تداعياتها، ومن ثم فلم يتم التوقف عندها كثيرًا؛ رغم أن كلمات مبارك لامست في واقع الأمر جرحًا عميقًا يستشعر خطورته الكثيرون من المعنيين والقريبين من ملف الدور الإيراني في المنطقة.

فالكلمات التي نطقها لسان مبارك لم تكن اعتباطية، وإنما كانت انعكاسًا لحالة راهنة يعيشها الكثير من الشيعة العرب، ليس في العراق فحسب بل في كل الدول التي بها شيعة؛ حيث تتضافر الشواهد والدلائل على ذلك.

وقد سبق مبارك ملك الأردن عبد الله الثاني في نهاية عام (٢٠٠٤) بالتحذير من تكوّن هلال شيعي يضم إيران والعراق

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=sJVfEgp٧_yg

وسوريا ولبنان[١]، وهو ما يتجسد واقعاً على الأرض اليوم.

وحتى لا يقال: إن مبارك وملك الأردن -ولانتسابهما للسنة- ربما كانا غير موضوعيين فيما قالا؛ فإننا يمكن أن نورد كلمات لشخصية شيعية لبنانية هو: السياسي محمد علي الحسيني -أمين عام المجلس الإسلامي العربي-؛ الذي قال: «إن النظام الإيراني يسعى لـ (تضليل الشيعة العرب) عبر نظام ولاية الفقيه، فهو نظام ابتدعته إيران بغرض سياسي»، مفرقًا ما بين الشيعة العرب وشيعة طهران، مؤكدًا أن الشيعة العرب يتعرضون اليوم لأوسع حملة تضليل واستغلال في تاريخهم من قبل نظام ولاية الفقيه الإيراني.

واتهم الحسيني طهران بأنها تحاول عبر فكرة ولاية الفقيه: «الترويج لمعتقدات غريبة عن التراث والفكر الشيعيين، واعتبار (النظام الإيراني) نفسه وليًّا على هؤلاء الشيعة»، مضيفًا أنه أوضح في أطروحته التي تحمل عنوان: (ولاية الفقيه) بأن هذه النظرية ليست من صلب العقيدة الشيعية، وأنها ليست سوى مسألة سياسية تزعم الارتكاز إلى الدين!

وأضاف: «ولاية الفقيه ليست من صلب العقيدة الشيعية، إنها مسألة سياسية إيرانية، وللتوضيح أكثر نقول: إن رفض الشيعي لنظرية ولاية الفقيه لا يخرجه من الطائفة، وأن ما ينزع عنه صفة الشيعي هو: نكران ما ورد في صلب العقيدة الشيعية».

ومؤكدًا أنه نال مبايعة من الشيعة العرب لدوره السياسي قائلاً: «تصدينا بحزم لإدعاءات ولاية الفقيه، وعملنا على تنوير الشيعة على مخاطرها التي قد تودي بهم للانخراط في مخطط التمدد الاستعماري للنظام الإيراني الحالي، ونتيجة لطروحاتنا وعملنا الدؤوب مع أبناء الطائفة الشيعية في الدول العربية جاءت مبايعتنا كمرجعية سياسية لهم»[٢].

كذلك؛ وفي مقال خطير كتبه القيادي التونسي راشد الغنوشي -الذي تربطه علاقة جيدة بإيران- وعنوانه: (العلاقة بين الشيعة العرب وإيران) يقول: «فمن ناحية النظرية المؤسسة للدولة؛ فليس للشيعة العرب موقف واحد من المبدأ الذي تقوم عليه جمهورية؛ إيران مبدأ ولاية الفقيه، فمنهم من يؤمن به، ومنهم من يرفضه ويقابله بولاية الأمة على نفسها، وهو ما نادى به صديقنا المرحوم العلامة مهدي شمس الدين وطوره الرئيس خاتمي؛ إذ نادى بالديمقراطية الإسلامية بما يفسح المجال أمام أتباع المذهب للاندماج في أوطانهم وتمحيص الولاء لها، ولا يجعلهم ملزمين دينيًّا بقيادة الولي الفقيه صاحب السلطة العليا في (الجمهورية الإسلامية). فهم لم يختاروه، وإنما كان اختياره وفقًا لدستور دولة قومية، فلا يحمل إلزامًا لغير مواطنيها على اختلاف دياناتهم، وهو ما يحصر العلاقة في المجال الديني، بمعنى: مرجعية الفتوى داخل المذهب، وهي ليست مرجعية واحدة بل متعددة»[٣].

مما يؤكد وجود مزج بين الولاء الديني والولاء السياسي للشيعة العرب، ومن ثم يكون الولاء «للولي الفقيه» الذي يقيم في إيران هو ولاء للدولة الإيرانية!

ولقد اعترف الباحثون الإيرانيون بولاء الشيعة لإيران، فالباحث حامد رضا داغاني -مدير «مركز الخليج والشرق الأوسط»، التابع لوزارة الخارجية الإيرانية- يعتبر أن: «قوة إيران الناعمة» في العراق، أي: علاقاتها الوثيقة مع الشيعة في العراق مثل: المرجع السيستاني ورجال الدين الشيعة العراقيين الذين

---

(١) http://ar.ammannet.net/news/١٢٨٢

(٢) http://edition.cnn.com/arabic/٢٠١٠/middle_east/٥/٣/housaini.iran/index.html

(٣) رابط المقال: http://cutt.us/i٦٣oj

درسوا في قُم؛ كان أكبر عامل في تحقيق إيران مطامعها في العراق والمنطقة.

فيما تقدّم دراسة الإيراني «كيهان بارزيجا» -الباحث في مركز البحوث الإستراتيجية بطهران- تصوّراً واضحاً لدور العامل الشيعي في السياسة الخارجية الإيرانية؛ والتي تهدف لـ:

- «**خلق جيل جديد من النخب العراقية الصديقة لإيران**، ليس لديها أي خلفيات أو مشاعر عدائية تجاه إيران، أي: نخب عراقية موالية بالكامل لإيران.
- **إقامة تحالف إيراني عراقي** يكون محوراً ومنطلقًا لتشكيل ترتيبات سياسية وأمنية جديدة في منطقة الخليج»[1].

وبالطبع؛ فإن حديث البعض عن أن اتباع مرجع ديني معين لا يعني: أن هناك ارتباطًا سياسيًّا بالمرجع، كلام لا معنى له؛ خاصة وأنه من المعلوم أن أتباع نظرية ولاية الفقيه المطلقة تشمل الدين والدنيا والسياسة؛ كما هو الحال بالنسبة للخميني في السابق والخامنئي الآن؛ يرون أنه «لولي أمر المسلمين ولاية على مقلديه خارج الحدود؛ بحيث لو أصدر حكما فعليهم اتباعه».

كذلك؛ فإن اعتبار البعض أن التقليد للمرجعية الإيرانية لا يعني: أن المقلدين أصبحوا إيرانيين بالولاء؛ انطلاقًا من أن عالم الأفكار عالم واسع وفيه قابلية للانتقال والتأثير عبر البلدان والجماعات، وبالقياس على أن الذين تبنوا -مثلًا- أفكار المودودي في مصر لم يصبحوا باكستانيين، وأن الذين تبنوا الفكر الوهابي في الهند وباكستان وغيرهما لم يصيروا سعوديين، أو أن الذين يرجعون للأزهر في إندونيسيا وماليزيا أضحوا مصريين بالولاء، هو قول وقياس غير صحيح أيضًا، فمرجعية هؤلاء إن كانت فهي مختلفة تمامًا؛ فهي:

أولًا: ليست مرجعية مطلقة أو أحادية حتى فيما يخص الجوانب العقدية والتعبدية.

وثانيًا: أنها لا تمس الشأن السياسي بتفاصيله؛ فلا يستطيع الأزهر -مثلًا- أن يصدر توجيهًا سياسيًّا لمقلديه بشأن يتعلق بأمور بلادهم الداخلية.

وثمة نقطة أخرى تتعلق بهذه القضية؛ ذلك أن نظرية ولاية الفقيه واعتبار الخميني الولي الفقيه الذي ينوب عن الإمام الغائب: تجاوز حقيقي لما للمذهب الشيعي الذي يؤكد على أن الإمام يجب أن يكون عربيًّا من قريش، فيما أن الرجل غير عربي، وبالطبع ليس من قريش، بل إنه كثيرًا ما كان يقلل من شأن العرب اتساقًا مع الثقافة الإيرانية السائدة تجاه العرب، وتلك النظرة الدونية لهم؛ ففي كتابه «الوصية السياسية الإلهية» يقول: «أنا أزعم بجرأة أن الشعب الإيراني بجماهيره المليونية في العصر الراهن أفضل من أهل الحجاز في عصر الرسول -صلى الله عليه وآله-، ومِن شعب الكوفة والعراق المعاصرين لأمير المؤمنين والحسين بن علي (عليهما السلام)».

نماذج من الواقع:

مما يثير الدهشة أن يحاول البعض أن يؤكد على ولاء الشيعة لأوطانهم، وينتقد بشدة أي حديث عن غياب الولاء أو ازدواجيته، متذرعًا بسببين:

أولهما: أن هذا الحديث ليس مفيدًا على المستوى السياسي؛ فاتهام الشيعة العرب بذلك يصبّ في صالح إيران، ويوثق العلاقة بينها وبين هؤلاء الشيعة، ومن ثم فإن الأولى أن يمنح هؤلاء الثقة فيهم، والتأكيد على أنهم جزء من الأوطان العربية.

---

(١) (ولاء الشيعة لمن؟، حقائق مغمورة وأوهام منثورة!)، عبد العزيز بن صالح المحمود، على الرابط:

http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٣٣٩٧

وهو مبرر منطقي في ظاهره، غير أن هؤلاء يتجاهلون أن الإشكالية الكبرى تتعلق بأن الاعتقاد في الولي الفقيه يقودهم بأن يكون هذا الولي الفقيه مرجعية مطلقة في كل شيء، فالاتباع السياسي جزء من الإيمان العقدي، كما يتجاهلون أن الواقع الفعلي ينطق بهذه الحقيقة المريرة.

وثانيهما: أن للشيعة العرب محطات كان لهم دور إيجابي؛ غير أنها كانت قبل ثورة الخميني (١٩٧٩) والتحول المصيري.

وهنا يجدر بنا أن نرصد عددًا من النماذج التي تؤكد على مسألة غياب الولاء الوطني لدى غالبية شيعة الدول العربية؛ إذ يوجد منهم من يختلف مع إيران:

لبنان: يبرز في هذا السياق ما تداولته مؤخرًا العديد من وسائل الإعلام لمقطع فيديو يتضمن قيام أعداد كبيرة من عناصر حزب الله اللبناني وأثناء حضور الأمين العام للحزب حسن نصر الله، العام الجاري بإعلان الولاء التام لمرشد الثورة الإيرانية الحالي علي الخامنئي؛ حيث رددوا: «أقسمنا بالولاء لعلي الخامنئي»، وهو قسم لا يحتاج إلى أي تأويل، إذ لو انحصر الأمر فقط على اعتبار الخامنئي مرجعية دينية لهؤلاء فإن الأمر لم يكن يستدعي على الإطلاق القسم على الولاء، لكن الجميع يدرك المعنى والمغزى لهذا القسم! وهذا الولاء من مليشيا عسكرية، إذ التبعية هنا مطلقة وكاملة[١].

والحقيقة أن الأمر ليس مستغربًا، فنصر الله نفسه وخلال مقطع فيديو -أيضًا- تم تسجيله في الثمانينيات من القرن الميلادي الماضي اعتبر أن الولي الفقيه هو الحاكم الفعلي لكل البلاد الإسلامية، وهي البلاد التي يوجد بها مسلمون أينما كانوا، قائلًا: «بخصوص صلاحية ولاية الفقيه في تعيين الحكام ويعطيهم الشرعية في جميع البلاد الإسلامية؛ فنعم، لأن ولايته ليست محدودة بحدود جغرافية، فولايته ممتدة بامتداد المسلمين».

وأضاف نصر الله: «إن مشروعنا الذي لا خيار لنا أن نتبنى غيره كوننا مؤمنين عقائديين هو: مشروع دولة إسلامية وحكم الإسلام، وأن يكون لبنان ليس جمهورية إسلامية واحدة وإنما جزء من الجمهورية الإسلامية الكبرى؛ التي يحكمها صاحب الزمان ونائبه بالحق: الولي الفقيه الإمام الخميني».

وبعيدًا عن محاولة نصر الله دغدغة المشاعر الإسلامية بالحديث عن الدولة الإسلامية، وأن لبنان جزء منها؛ فإن الملفت للنظر -كما هو واضح- تأكيده على أن الذي يحكم هذه الدولة الإسلامية صاحب الزمان ونائبه؛ الذي هو: مرشد الثورة الإيرانية «الخميني»، وهو ما يعني ببساطة شديدة: اعتبار الخميني نائب الإمام الغائب والمنتظر؛ الذي بالطبع تجب طاعته في كل شيء حتى لو تعلق الأمر بتوجيهات وأوامر خاصة بلبنان؛ التي ووفق تصور نصر الله ليست إلا جزءًا من دولة الخميني.

بل إن نصر الله نفسه لا يترك مجالًا للتأويل؛ فيقول: «هذه العلاقة أيها الأخوة بالنسبة لنا، فأنا واحد من الذين يعملون في مسيرة حزب الله وفي أجهزته العاملة، لا أبقى لحظة واحدة في أجهزته لو لم يكن لدي يقين قاطع بأن هذه الأجهزة تتصل عبر مراتب إلى الولي الفقيه القائد المبرئ لذمة الملزم قراره.. بالنسبة لنا هذا أمر مقطوع ومُطمأن به»[٢].

وهذا الولاء هو السبب الرئيس وراء كل سياسات حزب الله اللبنانية، فلم يعد ثمة شك أنه أحد الأذرع الإيرانية في المنطقة حتى أن الخامنئي قال عنه : «إن حزب الله في لبنان وشباب حزب الله مدعاة فخر للعالم الإسلامي»، وهو ما يعني: أن الحزب ورجاله حظوا بالرضا الكامل من قبل الخامنئي.

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=K-Q-E٠E٣C_U

(٢) https://www.youtube.com/watch?v=K٧USVPyEaMY

وكان من أهم نتائج هذا الولاء: تورط حزب الله في دعم قوات بشار الأسد ومواجهة الثورة السورية؛ على الرغم من الأخبار التي تناقلتها بعض وسائل الإعلام حول أنه لم تكن لدى الحزب في بادئ الأمر الرغبة بالمشاركة في هذا الصراع إلا أن الأوامر العليا جاءت من طهران بضرورة المشاركة! فكان ما أرادت إيران؛ ليكون الحزب -الذي يدعي المقاومة والصمود!- إحدى أدوات إفشال انتزاع الحرية من حاكم سوريا المستبد.

مصر: يعلم الجميع أن عدد المتشيعين فيها قليل للغاية، وأنهم لا يشكلون نسبة تذكر؛ ومع ذلك فإن اتهامات لاحقت هذه الأعداد بأن ولاءها -أيضًا- لإيران، وهي الاتهامات التي كما جاءت على لسان عناصر تنتمي للتيار السلفي وآخرين من السنّة، فإنها -أيضًا- جاءت على لسان متشيعين مصريين ومن بينهم: القيادي الشيعي الشاب المعروف بتشدده وتطرفه في المذهب ضياء محرم؛ الذي اتهم صراحة شيعة مصر بأن ولاء معظمهم لإيران والمرشد الأعلى للثورة الإسلامية أكثر من ولائهم لمصر، ومشيرًا في الوقت ذاته إلى أن الولاء لإيران ليس من شروط التشيع؛ كما يردد البعض[١].

وهو نفس ما أكده ناصر رضوان -مؤسس ائتلاف أحفاد الصحابة وآل البيت؛ الذي قال أن الشيعي في أي دولة يحمل جنسيتها؛ سواء دولة عربية أو غيرها، ليس له ولاء للوطن بل ولاؤه لوليه الفقيه خامنئي في إيران، مدللًا على ذلك بموقف شيعة مصر من التحالف العربي والعمليات العسكرية وعاصفة الحزم التي هاجموها[٢].

وتكشف العبارة التي تفلتت على لسان القيادية الشيعية المصرية رانيا العسال عن حقيقة هذا الموقف؛ إذ قالت القيادية المشهورة باسم: «بنت زينب» وفي إطار تعليقها على إغلاق مسجد الحسين بالقاهرة خلال ذكرى كربلاء: «تم الآن غلق ضريح الحسين بالقاهرة، ومنع الصلاة فيه، فلما دموا ينكروا أن لا شيعة بمصر فلماذا هم خائفون؟ (طز بالدستور والمواطنة)»[٣].

وهي العبارة التي دفعت أحد الباحثين للتعليق عليها والقول بأن هذا الحقد الظاهر ليس مستغربًا؛ لأنه قديم وأزلي تجاه مصر وشعبها عمومًا، منذ نجاح مصر في التصدي للدولة العبيدية المسماة زورًا بالفاطمية، والتي سماها العلامة جلال السيوطي بالدولة العبيدية الخبيثة، فقد نجح الشعب المصري في قهر تلك الدولة وطردها؛ بعد مقاومة هائلة استمرت ثلاثة قرون حتى رحلوا عن مصر.

ومضيفًا أن حقد الشيعة قديم جدًّا؛ حيث نجد أن أكبر وأهم مراجعهم وهو كتاب «الكافي» لعلامتهم الكليني فيه حديث يتداولونه في عقيدتهم ينهى عن شرب ماء النيل في مصر!![٤]

البحرين: شكلت ولا زالت قضية الولاء الوطني أزمة سياسية كبيرة لدى شيعة البحرين أو الأغلب، لدرجة أن يصرح أحد قياداتهم بأن: «الشعب البحريني الشيعي مستعد للتضحية تحت أوامر قائد الثورة الإيرانية علي الخامنئي».

وادعى صادق كاظم الجمري -القيادي في ما يسمى: «ائتلاف ثوار ١٤ فبراير»، القريب من جمعية الوفاق الشيعية- لوكالة «فارس» الإيرانية أن: «ثورة إيران أحدثت ثورات عارمة لدى الشعوب الإسلامية؛ بدءًا من تونس ومصر إلى ليبيا واليمن والبحرين».

مؤكدًا أن: «الشعب البحريني يعلن تضامنه مع الشعب الإيراني، وسيقف إلى جانب إخوته الإيرانيين ضد أية مؤامرة ترمي إلى النيل من سيادة إيران»[٥].

---

(١) http://cutt.us/d٧usE

(٢) http://www.vetogate.com/١٦٩٤٠٠٦

(٣) http://cutt.us/FMSvF

(٤) http://cutt.us/Z٢qU٦

(٥) http://cutt.us/CQS٩y

وما عبر عنه الجمري هو لسان حال أكثر شيعة البحرين؛ الذين تعود أصول بعضهم إلى إيران، ويطلق عليهم اسم: «العجم»، والذين لا يزال كثير منهم يتحدث حتى اليوم بالفارسية بعد مضي أكثر من قرن على استيطانهم! وعلى الرغم من استعمالهم العربية في الحديث اليومي والمعاملات، وهو ما يعكس مدى تجذر الطائفية لديهم! ولولا حزم السلطات لتكونت مليشيات شيعية عسكرية علنية؛ على غرار لبنان والعراق واليمن، وتجاوزت حالة الخلايا المسلحة التي تقبض عليها السلطات من فترة إلى أخرى.

العراق: الأدلة والشواهد على الولاء لإيران حاضرة لا تخفى على ذي بصر وبصيرة، فأي متابع -ولو بقدر ضئيل- للشأن العراقي يعلم جيدًا حجم التدخل الإيراني في العراق، وكيف أن طهران هي صاحبة القرار الأول والأخير عبر وكلائها من الساسة والعسكريين؛ الذين يهيمنون على الأوضاع فيه منذ الغزو الأمريكي عام (٢٠٠٣)؛ حيث آثر شيعة العراق وبناءً على فتوى موجهة من قبل مرجعية العراق علي السيستاني بعدم مقاتلة الأمريكيين، وهو ما كانت تريده إيران التي كانت تسعى للانتقام ليس فقط من صدام حسين وإنما من العراق كله؛ الذي وقف بالمرصاد أمام مشروع تصدير الثورة، ودخلت العراق في حرب مع إيران من عام (١٩٨٠) وحتى (١٩٨٨)، فيما عرف بحرب الثماني سنوات.

يضاف إلى ذلك؛ فإن الكثير من الأحزاب والمكونات السياسية الشيعية تؤمن بنظرية ولاية الفقيه، ومن هؤلاء: حزب الدعوة -الحزب الرئيسي الحاكم في العراق-؛ الذي أعلن عن تبنيه للنظرية، رغم أنه كان معارضًا لها في السابق؛ إذ أدرك أن ذلك يكفل له الدعم الإيراني، ومن ثم البقاء في الحكم.

ويبقى وبرغم إسقاط العراق وتولي النخبة الشيعية العراقية لمقاليد الأمور السياسية أن إيران لم تأمن لتقلبات الأحوال السياسية، فعملت على تأسيس ما يطلق عليه: «الحشد الشعبي»، والمكون من عشرات الفصائل الشيعية التي يقودها عناصر تربت وترعرعت في إيران من أمثال: هادي العامري وأبو مهدي المهندس؛ لتضمن بذلك فرض سيطرتها وهيمنتها على كل شيء في العراق حتى الجيش العراقي، بعد أن أدرجت الحكومة ميلشيات الحشد الشعبي ضمن القوات النظامية.

اليمن: ليس خافيًا حجم موالاة الحوثيين لإيران؛ رغم أنهم من الشيعة الزيدية الذين يختلفون اختلافاً جذريًّا مع المذهب الاثنى عشري فيما يربطهم مع جيرانهم السنة أكثر مما يفرقهم، وخلافهم مع السنة خلاف فرعي؛ غير أن إيران استطاعت أن تستميلهم وتحولهم -وفق تقارير كثيرة- إلى مذهبها؛ من خلال المنح الدراسية للطلاب الزيديين إلى طهران، وتحويلهم إلى الاثنى عشرية وعلى رأسهم: شيخهم وإمامهم بدر الدين الحوثي، ومكوثه في طهران.

وقد تمكن الحوثيون الذين أسسوا ميلشيات مسلحة من احتلال العاصمة اليمنية صنعاء، والسيطرة على مؤسسات الدولة بالعديد من المناطق، ثم ليكونوا فيما بعد تهديدًا صريحًا للمملكة العربية السعودية من ناحية الجنوب؛ بما يخدم المصالح الإيرانية التي ترى أن المملكة عقبة كئود أمام تحقيقها!

هذه النماذج غيض من فيض! إذ يمكن أن نرصد الكثير من المواقف والتصريحات التي تشير إلى ضبابية مسألة الولاء للأوطان لدى الشيعة في عالمنا العربي وأيضًا الإسلامي؛ غير أنه يكفينا في الختام أن نورد بعض تصريحات الإيرانيين أنفسهم، والتي أشارت إلى هذا؛ فلقد اعتبر -مثلًا- مندوب مدينة طهران في البرلمان الإيراني علي رضا زاكاني -والمقرب من المرشد الإيراني علي خامنئي-: «أن العاصمة اليمنية صنعاء أصبحت العاصمة العربية الرابعة التابعة لإيران؛ بعد كل من بيروت ودمشق وبغداد، مبينًا أن ثورة الحوثيين في اليمن هي امتداد للثورة الخمينية»[1]، وهو التصريح الذي يعني بوضوح لا لبس فيه: أن القائمين على ما أسماه زاكاني بالثورة من أتباع إيران والموالين لها.

---

(١) https://mz-mz.net/٣٦٢٨٢٤/

مفهوم النسوية
-دراسة نقدية في ضوء الإسلام-

عرض: أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

هذا كتاب متميز في موضوعه الذي يتصدر السياسات الداخلية لكثير من الدول اليوم.

ومتميز بلغته السلسة برغم تشعب وتعقد تاريخ ومبادئ النسوية.

والكتاب يبدو أنه أطروحة جامعية، وهو من تأليف: أمل بنت ناصر الخريف، ومن إصدار مركز باحثات لدراسات المرأة بالرياض، وصدرت طبعته الأولى سنة (٢٠١٦)، ويقع في (٢٢٠) صفحة.

الكتاب جاء في خمسة مباحث هي: دلالات مفهوم النسوية، نشأة مفهوم النسوية وتطوره، المصطلحات ذات الصلة، آثار مفهوم النسوية، نقد مفهوم النسوية.



بخصوص دلالات مفهوم النسوية؛ فليس هناك اتفاق على تعريف للنسوية؛ بسبب تطور وتمدد المفهوم وعدم ثباته، وتنوع التيارات التي احتضنت المفهوم وطوّعته لمصلحتها عبر الزمن؛ لكن أغلب التعاريف تدور وتتمحور حول نصرة حقوق المرأة، ومراجعة النظم الاجتماعية السائدة وتعديلها أو إلغائها؛ لرفع الظلم عنها ومساواتها بالرجل.

ومن المهم الوعي بتباين مفهوم النسوية بين التيارين الليبرالي والماركسي، فعند الليبراليين تعني النسوية: المناداة بالمساواة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الجنسين، ونبذ اعتقاد المجتمع أن قدرة النساء العقلية والجسدية بحكم طبيعتهن أقل من قدرة الرجل، بينما النسوية في الفكر الماركسي -القائم على الإلحاد وصراع الطبقات- هي: النضال لإدماج النساء في سوق العمل، ومشاركتهن في الصراع الطبقي لقلب النظام الرأسمالي!

وقد ظهر مفهوم جديد للنسوية من قبل الاتجاه الراديكالي المتطرف؛ الذي يعتقد أن النظام الأبوي -والذي يقصد به: تحكم رجل بالعائلة أو المؤسسة أو الدولة- هو المحور الذي يتحكم بعلاقات الرجال بالنساء، وأنه لا بد من هدم وتدمير هذا النظام الأبوي لإعادة تملك النساء لأجسادهن والتصرف بها، وتصبح النسوية حينها هي: العمل بالقوة على إزالة الهيمنة عن المرأة.

وبذلك يتضح أن النسوية هي: حركة سياسية اجتماعية، ظهرت في الغرب للمطالبة بحقوق المرأة، وأنها تعتمد على نظرية

وفلسفة جديدة تجاه اللغة والأدب والتاريخ والأخلاق والمعرفة؛ لأنها تنبذ الرؤية الذكورية التي شكلت تلك الأمور فيما تدعي! وتتعدد نقاطها المركزية بحسب تعدد تياراتها، فبعضها تركز على طلب المساواة بين الجنسين في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وبعضها يشتط للمساواة التامة على كل الأصعدة، وبعضها يدعو للتمركز حول الأنثى، وبعضها يشطح بالدعوة للاستغناء الكامل عن الرجال!

وفي المبحث الثاني؛ تستعرض المؤلفة نشأة وتطور مفهوم النسوية، وتنطلق في ذلك من استعراض سريع لكارثية أوضاع المرأة في الغرب في العقود الماضية؛ حيث كانت المرأة محط الاحتقار والازدراء، وهي تحت سيطرة الرجل، وممنوعة من التصرف دون إذن من الأب أو الزوج، بل نصّ قانون بريطانيا لعام (١٨٠٥م) على حق الرجل ببيع زوجته! وكان تعليم المرأة يُعد نوعًا من الشتيمة! وكانت المرأة تعمل في البيت بالصناعات الخفيفة لتدفع ثمن إعالة زوجها لها.

ولما قامت الثورة الصناعية وخرجت المرأة للعمل في المصانع تخلى الزوج عن النفقة على زوجته! وقام أصحاب المصانع باستغلالها ماليًّا بإنقاص أجرتها عن الرجال، وحتى لما قامت الثورة الفرنسية لم تستفد منها النساء شيئًا، وبقي ظلمها مستمرًا، فقد بقي القانون الفرنسي ينص على أن القاصر هو الصبي والمجنون والمرأة! ولما عدلت تلك القوانين قبل عقود قريبة وقعت المرأة من جديد تحت ظلم جديد باسم تحريرها؛ فأصبحت أداة لجمع المال وتحصيل اللذة والمتعة!

والسبب في تلك الأوضاع البئيسة للمرأة في الغرب يعود للنظرة السلبية والظالمة للمرأة لدى الفلاسفة القدماء؛ كأفلاطون وأرسطو، حيث كانوا ينظرون لجنس المرأة على أنه جنس ناقص وضِيع أقل من جنس الرجال! واستمرت هذه النظرة الدونية في التوراة والإنجيل المتداولة بين الناس، فهما يعتبران المرأة أصل الخطيئة وسبب طرد آدم من الجنة، بخلاف الإسلام الذي يجعل الخطأ مشترك بين آدم وحواء، وهي شر ولعنة ولذلك حُرمت من الميراث، ومنعت من التعليم، بل أقر «مجمع نيكون» الكنسي أن المرأة إنسان لكن روحها دنيئة وخالية من الروح الناجية من النار، وأنها خُلقت لخدمة الرجل.

فهذا الواقع البئيس للمرأة هو ما جعلها تتقبل دعوات التحرر والنسوية لاحقًا، لكنها انتقلت من ظلم لم يتعارض مع فطرتها إلى ظلم يحارب فطرتها من خلال النسوية.

لم يظهر مفهوم النسوية كاملًا دفعة واحدة، بل تكوّن على شكل موجات ثلاث؛ بحسب تطور الجدل الفكري ومسار الصراع والحروب في أوروبا، ففي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وبعد رواج الدعوة للحقوق بتأثير الثورة الفرنسية بدأت الموجة الأولى؛ فتمت الدعوة لحق المرأة في التعليم الذي كان مقصورًا على النساء النبيلات والرجال فقط، والدعوة لحق الملكية وحق الرعاية وحق إقامة دعوى الطلاق والمساواة القانونية وحق التصويت.

واستمر هذا المفهوم النسوي الليبرالي هو السائد حتى أوائل القرن العشرين، وقد تم ذلك قبل بلورة مصطلح النسوية نفسه!

جاءت الموجة الثانية بعد الحرب العالمية الثانية من الستينيات وحتى منتصف السبعينيات، وكانت طليعتها المجموعة اليسارية المناهضة لحرب فيتنام، حيث كانت النساء قد حلَّت مكان العمال في المصانع أثناء الحروب العالمية، وتصاعدت الدعوات لعودة النساء للبيوت وعودة الرجال للمصانع، وإعادة ترميم الأسر المتصدعة، ومن هنا تأثرت هذه الموجة النسوية بالأفكار الاشتراكية وحقوق العمال، وتم نقد التفرقة بين الجنسين باعتباره نتاج التنشئة والمجتمع الظالم، وطرحت فكرة المساواة

الجنسية وفكرة الجندر /النوع، وأصبح هناك تكون لنظرية نسوية؛ حيث تكاثرت الكتب النسوية منذ (١٩٧٠م).

وبدأ ظهور مدارس نسوية متعددة، تأثرًا بالفلسفات الكبرى؛ فالنسوية الليبرالية نادت بالتدرج والاقتصار على القضايا التي لا تصادم المجتمع ولا تتناقض مع قيَمه الأساسية، واقتصرت على حقوق المرأة السياسية والاجتماعية، وهُوجم هذا التيار من النسويات الأخريات باعتباره منحازًا لنساء الطبقة الوسطى.

أما النسوية الماركسية؛ فهي ثورية بطبيعتها، ومنقلبة على المجتمع والفكر والفلسفة السائدة، ولذلك فهي تريد دمج المرأة في دورة الإنتاج وخروجها من المنزل.

أما النسوية الراديكالية -وهي القطاع الأوسع تأثيرًا في نهاية هذه المرحلة-؛ فقد ركزت على هدم النظام الأبوي القائم على العلاقة الجنسية بين الجنسين، ولذلك شجعوا العلاقات الشاذة المثلية! ودعوا لحق الإجهاض!

وجاءت الموجة الثالثة لتحول النسوية لفكرة عالمية، وسميت ما بعد النسوية فظهرت النسوية السوداء ونسوية العالم الثالث، وأصبح هناك اهتمام بسياسات الهوية والشواغل الثقافية للمرأة، وذلك من منتصف السبعينيات من القرن الماضي؛ من خلال مؤتمرات الأمم المتحدة التي يسيطر عليها الشاذون جنسيًّا وأعداء الإنجاب والنسويات الراديكاليات.

وقد تعزز مفهوم الجندر ومحاربة كل مظاهر الأبوية؛ حتى وصل ذلك لبعض المسلمات، فظهر في إيران وتركيا نساء يدعون لإزالة اضطهاد المرأة؛ من خلال القراءة الأبوية والذكورية للنصوص الدينية!

بخلاف هذا التقسيم الثلاثي لموجات النسوية يطرح البعض تقسيمًا ثنائيًّا، نسوية المساواة التي تمثل الموجة الأولى، ونسوية الجندر التي تقوم على مبدأين: مبدأ النوع الذي يدعو لإلغاء الفروق بين الجنسين، ومبدأ الضحية الذي يدعو لكراهية الرجل والاستغناء عنه!

وقد تكررت هذه الموجات في العالم العربي؛ فمع احتلال فرنسا لمصر في (١٧٩٨م) انبهر البعض بأوربا، وبخصوص المرأة تم المطالبة بالتعليم والعمل والاختلاط دون المطالبة بالمساواة من رفاعة الطهطاوي وأحمد الشدياق.

وجاءت الموجة الثانية بعد (١٠٠) عام تقريبًا؛ حيث طالب مرقص فهمي بالقضاء على الحجاب وإباحة الاختلاط ومنع تعدد الزوجات وإباحة زواج المسلمة من الأقباط، وكان من رواد هذه الموجة: قاسم أمين وهدى شعراوي.

والموجة الثالثة جاءت بعد (٥٠) سنة؛ حيث تمت ترجمة عدد من كتب النسويات الأوروبيات، وتسربت أفكار الثورة الجنسية واليسارية المتطرفة، وأصبح هناك دعوة للفلسفة النسوية وليس للسلوكيات فحسب، فتم اتهام الدين بأنه سبب تخلف المرأة، والدعوة للمساواة بالإرث وفي الطلاق وحرية التعدد للمرأة، وتم محاولة تنفيذ ذلك من خلال تعديل القوانين ومناهج التعليم والقنوات والإعلام وبنية الأسرة، ومن أهم شخصيات هذه المرحلة: نوال السعداوي وفاطمة المرنيسي.

المبحث الثالث استعرضت الباحثة فيه المصطلحات ذات الصلة بالنسوية وهي:

تحرير المرأة: وهو أقدم من مصطلح النسوية، لأن النسوية تطور لحركة تحرير المرأة حتى وصلت مرحلة الشطط.

الأنثوية: وهي إحدى مظاهر تحرير المرأة ومظاهر النسوية المتعددة.

النظام الأبوي: ويقصد به: أي نظام اجتماعي يجعل السلطة بيد كبير العائلة أو الجماعة القرابية لاعتقاده بتفوق الرجل على المرأة.

النظام الأمومي: وهو: النظام الاجتماعي الذي تعلو فيه مكانة المرأة على الرجل، وهو افتراض غير علمي يزعم أن الشعوب

البدائية كانت أمومية! وتعتقد النسويات أن البيئة والطبيعة نظام أمومي ولذلك فهن يهتمين بالوثنية كونها عبادة للطبيعة، واليوم هناك عودة للوثنية عند النسويات!

المساواة بين الجنسين: وقد تطور هذا المصطلح من المساواة المنصفة المطالبة بحق التعليم والقانون -مع اعتبار خصوصيتها البيولوجية- إلى المساواة المطلقة التي انتقلت من وصف العلاقة بين الجنسين بالصراع؛ فتم العمل من خلال القوانين على فرض المساواة في الخصائص والوظائف، إلى مرحلة رفض مفهوم الذكورة والأنوثة نفسه، وأنه لا بد من الانفصال عن الرجل ومؤسسات الأسرة، وتشجيع العلاقات الشاذة المثلية! فالمطالبة بالمساواة التامة انتهت بالانفصال عن الرجل، مما فشل معه مطلب المساواة أصلًا.

الجندر: ويقصد به: الخصائص التي يحملها الرجل والمرأة كصفات مركبة اجتماعية لا علاقة لها في الاختلافات العضوية، وهو أداة تحليلية تميز بين البعد البيولوجي والبعد الاجتماعي الثقافي.

المبحث الرابع، استعرض آثار النسوية، وللأسف كان عرضًا غير عميق ولا شامل، وهذه مشكلة كثير من الدراسات الإسلامية بسبب ضعف الخلفية العلمية في العلوم الاجتماعية، والتقيد بالبحث عن مظاهر ورَدَ ذكرها في الكتب والمراجع، بينما الواقع والميدان فيهما الكثير الكثير من الآثار السلبية للنسوية مما يحتاج رصده في الدراسات النقدية الإسلامية؛ وخاصة أثر النسوية على تعديل القوانين في كثير من الدول العربية والإسلامية.

فمن مظاهر النسوية على اليهودية والنصرانية: إخضاع التوراة والإنجيل للدراسة من منظور نسوي؛ فتم إعادة تفسير بعض نصوصهما، بل تم تعديل بعض نصوصهما وتغيير الضمائر المذكرة لضمائر محايدة! كما قامت بعض النسويات بمحاولة البحث عن دين وثني وإحيائه!

وعلى صعيد الإسلام؛ فهناك محاولات متكررة من النسويين والنسويات لتطويع الإسلام لتلك الشطحات والكفريات بتحريف تفسير القرآن الكريم، والدعوة لتفكيك النصوص الشرعية (القرآن والسنة)، والدعوة لمخالفة صريح الشريعة واعتبار الالتزام بها ردة حضارية!

وكان للنسوية تأثير على الأدب والفكر والمعرفة لكونها تتهم المعارف والثقافات السابقة بتقصد ظلم المرأة، فظهر ما سمي بالنقد الأدبي النسوي؛ الذي يركز على عامل الاختلاف الجنسي في الأعمال الأدبية، وكيف يصور الرجال النساء، وتحليل أعمال النساء الأدبية.

وظهرت النسوية البيئية لمكافحة سيطرة الرجل على البيئة والطبيعة والمرأة!

وظهرت النسوية الأخلاقية التي تهاجم منظومة الأخلاق التقليدية بدعوى مسؤوليتها عن اضطهاد المرأة وترسيخ هيمنة الرجل!

وفي سبيل ذلك عقدت مؤتمرات وندوات وورش عمل، وكمثال عليها في عالمنا العربي: عقد مؤتمر النسوية من منظور نقدي بالجامعة الأمريكية ببيروت، سنة (٢٠٠٩)، ومؤتمر النسوية والمنظور الإسلامي بدار الأوبرا بالقاهرة، سنة (٢٠١٢)، ومؤتمر خطاب النسوية والثقافة العربية الإسلامية المعاصرة في جامعة وهران بالجزائر، سنة (٢٠١٤)، وبالبحرين عقد مؤتمر نقدي للنسوية بعنوان: «اتفاقيات ومؤتمرات المرأة الدولية وأثرها على العالم الإسلامي»، سنة (١٤٣١هـ).

ومن آثار النسوية: إعادة قراءة وكتابة التاريخ من منظور نسوي؛ والتي تقوم على زعم أن أول آلهة عرفتها البشرية هي: آلهة أنثوية، وأن الديانة الأولى هي: عبادة الآلهة الأم!

وكذلك من آثارها: الدعوة إلى إعادة صياغة اللغة لتحمل سمة الحياد.

أما آثار النسوية على المجتمع والأفراد؛ فقد زعزعت توازن المرأة بإنكارها فطرتها وحاجتها البيولوجية للرجل، وعجز المرأة عن القيام بدور الرجل، وتحويل المرأة لسلعة يتاجر بها الأفاقون.

كما ساهمت النسوية في انهيار مؤسسة الأسرة في العالم الغربي، ويكاد يصلنا هذا الدمار؛ حيث انتقصوا من قدر الزواج وأهميته بزعم أنه فخ للمرأة ومؤسسة شريرة ومدرسة للاستبداد! وتم استبدال الأسرة والزوج بمفهوم ومصطلح شريك = الزنا، كما قللوا من شأن الأمومة ووظيفتها، واخترعوا مصطلح (الأم البيولوجية والأم الاجتماعية) للقضاء على الأسرة، واعتماد الإنجاب الصناعي! ولذلك يشجعون الإجهاض.

وتم تغيير مفهوم الأسرة لتصبح مفهومًا هلاميًّا يقوم على الزنا أو الشذوذ أو الإنجاب الصناعي، مما رفع نسب الطلاق، ونشر العلاقات المحرمة.

وعلى الصعيد العربي؛ تقلصت مساحة الأسر المركبة التي تضم الأجداد، وتم رفع سن الزواج للفتيات، مع نشر ثقافة الجنس في المدارس ضمن المناهج، وتعديل قوانين الأحوال الشخصية.

وفي المبحث الخامس والأخير -والذي خصصته المؤلفة لنقد مفهوم النسوية-؛ فقد كان غير مكافئ لما تطرحه النسوية من أفكار وفلسفات.

وهذه أزمة في الخطاب الإسلامي! ويحتاج طلبة العلم والدراسات العليا إلى زيادة قدراتهم الفكرية والمعرفية لخوض السجالات مع هذه الأفكار والفلسفات المنحرفة والبائسة لكنها تتغطى بخطاب مزوق وشبهات خطافة!

فالنسوية القائمة على مراعاة حقوق المرأة ليست بالضرورة أن تكون مصيبة في كل مطالبها؛ لأن الصواب في الإسلام خارج عن إطار الصراع بين الجنسين -كما تزعم النسوية!-، بل الحق هو ما تقرره الشريعة بأمر الله ﷻ الخالق: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[الأحزاب:٤]، وقد ورد في القرآن الكريم مصطلح: (حدود الله) كثيرًا مع الآيات المتعلقة بقضايا المرأة والأسرة؛ ليؤكد على المرجعية الإلهية فيها.

والنسوية كونها نتاج البيئة الغربية الظالمة فلا يحق لها أن تجعل من نفسها رؤية حاكمة للعالم وللمسلمات بشكل أخص، فبينما كانت المرأة الغربية في أحط درجاتها كانت المرأة المسلمة في أوج عزها ومجدها، ولا تزال.

الخلاصة:

تميز الكتاب باستعراض تاريخ وتشعب مسار النسوية، وتسليط الضوء على بعض جوانبه في الواقع، وكان يلزمه عمق أكثر في بيان آثاره الكارثية على المجتمعات، وعمق أكبر في نقده للنسوية ومبادئها الأساسية؛ **بخطاب عقلي شرعي يكون مقنعًا ومؤثرًا، ويسد هذه الثغرة في مسيرة الدعوة الإسلامية المعاصرة.**

مشكلة لو كان دائماً أو متعمداً!

قالوا: في بعض الحالات - إن لم يكن في أغلبها - كان اضطراب السياسة الخارجية الأمريكية عاملًا مساعدًا - إن لم يكن سببًا مباشرًا - في توسع تدخلات إيران الخارجية.

العراق أوضح نموذج على ذلك؛ لأن سياسات واشنطن بعد غزو (٢٠٠٣) سلمته على طبق إلى إيران.

الأمر ذاته يمكن أن يقال إلى حد كبير عن سوريا؛ التي كانت السياسات الأمريكية المضطربة حيال أزمتها سببًا في إطالتها وتعقدها.

لهذا؛ فإن واشنطن تحتاج بالفعل إلى إستراتيجية أوسع لا تقتصر على الموضوع النووي، وتوازن بين المفاوضات والحوافز، والضغوط والعقوبات... لكن الأهم من كل ذلك أن تكون منفتحة على التشاور مع دول المنطقة.

عثمان ميرغني - الشرق الأوسط، ١٢/ ١٠/ ٢٠١٧

لو يعقل الأمريكيون!

قالوا: بعد ما يقرب العامين على ذلك الاتفاق؛ هل من شخص يمكن أن يواجه العالم ويقول: إن سلوك النظام الإيراني قد مال نحو سلوك دولة؟!

منذ ذلك الاتفاق تمددت إيران أكثر، وتكاد تستولي على دول المشرق.

...ضرورة وضع احتمال تغيير النظام واحتمال الخيار العسكري على الطاولة؛ لأن هذه الخطوات ضرورية لإعطاء فرصة أكبر لنجاح مفاوضات «القوة الناعمة»...

مثل هذا التهديد سيكون بمثابة حافز قوي للعمل بحسن نية ولو لمرة واحدة؛ من أجل التوصل إلى تسوية سلمية عن طريق التفاوض يمكن أن تنهي برنامج إيران النووي.

وأفضل طريقة لتحقيق ذلك هي: أن يعرف الإيرانيون «أننا سندعم إزالة حكومتهم، وإذا اضطررنا، سنعمل على تدمير قدراتهم العسكرية».

هدى الحسيني - الشرق الأوسط، ١٢/ ١٠/ ٢٠١٧

داعش أليفة!

قالوا: مرتزقة روس في سوريا يقطعون الرؤوس بـ (١٣) جنيه إسترليني، ويشترون الفتيات بـ (٧٥) جنيه!

ديلي ميل، نقلًا عن تغريدة للإعلامية وسيلة عولمي

قبلة الحياة

قالوا: لقد سمح الاتفاق النووي لإيران بالحصول على مليارات الدولارات في وقت كانت فيه قاب قوسين أو أدنى من انهيار اقتصادي محتّم!

كما تنازل الاتفاق بشكل غير مفهوم إلى إيران في مجال المسالح لها بتطوير قدراتها الصاروخية البعيدة المدى، وهو الأمر الذي تحتاجه في نهاية المطاف في أي برنامج نووي عسكري في حال كان هدفها: تركيب رأس نووية.

...قرر ترامب الموافقة على إستراتيجية جديدة لإيران وهي حصيلة (٩) أشهر تقريبًا من المداولات والنقاشات مع الكونغرس والحلفاء.

...المفارقة أنه ما كان من مثل هذه الاستراتيجيات إلا مساعدة إيران على تحقيق المزيد من المكاسب الإقليمية، ليس بسبب قدراتها الخارقة، وإنما بسبب الأخطاء الفادحة للسياسات الأمريكية!

...بسبب ترامب - تحديدًا - اندلعت الأزمة الخليجية مع قطر، وهي الأزمة التي أدت إلى اندفاع عدد كبير من اللاعبين الإقليميين (دول وفاعلين غير حكوميين) باتجاه إيران، محققة لها مكاسب مجانية على طبق من ذهب...

من الواضح أنه لا يوجد حتى هذه اللحظة من يتّفق مع الإدارة الأمريكية بشأن إيران؛ لا في الاتحاد الأوروبي ولا في روسيا والصين.

وهو ما يعني: أنّ المهمّة ستكون صعبة للغاية إن لم نقل: شبه مستحيلة؛ وفق الطرق التقليدية المتّبعة.

علي باكير – عربي ٢١، ٢٠١٧/١٠/١٤

حين يعملون وننام

قالوا: عادت إسرائيل إلى أفريقيا، وعادت أفريقيا إلى إسرائيل!

هكذا أعلن رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو؛ إستراتيجية إسرائيل القديمة الجديدة تجاه أفريقيا، مستغلاً حالة الفراغ العربي؛ لا سيما بعد التطبيع المصري الإسرائيلي، والذي كان أحد أسباب انتهاء القطيعة الأفريقية مع إسرائيل بعد حرب (١٩٧٣)، فقد ترتب على توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل العام (١٩٧٩)، ثم عقد مؤتمر مدريد للسلام عام (١٩٩١)، عودة العلاقات بين إسرائيل ومعظم الدول الأفريقية.

فوفقًا لإحصائية الخارجية الإسرائيلية عام (٢٠٠٥) لإسرائيل علاقات مع (٤٤) دولة أفريقية، ارتفعت أخيرًا إلى (٤٥)، بعد قرار غينيا - العام الماضي - عودة علاقاتها مع إسرائيل.

بدر شافعي - العربي الجديد، ١٦ أكتوبر ٢٠١٧

سيذوب الثلج ويظهر المرج.. قريباً

قالوا: تطرح عودة دحلان إلى القيام بدورٍ في غزة، مدعومًا بأجندة مصرية - إماراتية إسرائيلية: سؤالًا كبيرًا بخصوص قدرة مشروع «حماس» ومشروع دحلان على التعايش في ضوء التناقض الشديد بينهما!

في هذا الوقت، تسعى السلطة الفلسطينية إلى تلمّس موقعها في خريطة القوى الجديدة في غزة؛ خصوصًا أنّ إجراءاتها بحق القطاع.

وموقفها من الانقسام أعطت المجال لمصر والإمارات للمناورة، ولخصمها اللدود دحلان بالعودة من بوابة فكّ الحصار عن القطاع؛ للقيام بالدور المناط به إقليميًّا ودوليًّا على الساحة الفلسطينية.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ١٢ أكتوبر ٢٠١٧

معلومة فقط

قالوا: في (٢٠١٦) حاول النظام الإيراني تهريب تكنولوجيا نووية وصاروخية أكثر من (٣٢) مرة؛ حسب الاستخبارات الألمانية.

تغريدة د. سلطان النعيمي

الاستثمارات الإيرانية في سورية، وأهمية «القلق الأميركي»

عدنان كريمة- الحياة، ٢٠١٧/١٠/١٢

مع بروز ملامح العودة التدريجية لمسيرة الهدوء في سورية تحت مظلة النفوذ الروسي، تمهيدًا لإيجاد الحل السياسي والتحضير لمرحلة إعادة الإعمار، ومع بدء موسم تقاسم مناطق النفوذ والمصالح؛ تكثف إيران جهودها للحصول على أكبر حصة من خلال «تعاونها الاستراتيجي» مع النظام، والذي يضمن مصالحها الاقتصادية لفترة طويلة تزيد على (٥٠) سنة، بموجب اتفاقات موثقة ومبرمة بين دمشق وطهران.

وهي تستعجل الخطوات التنفيذية لتقوية نفوذها السياسي والعسكري والاقتصادي، وحتى الاجتماعي «الديموغرافي»، ودعم استثماراتها وتنويعها، انسجامًا مع إدراكها أن روسيا قد تسير نحو صفقة إقليمية دولية تؤدي إلى إنهاء هذا النظام ورئيسه بشار الأسد، على حساب مصالحها.

لافت في هذا المجال أن طهران لم تهتم للقلق الأميركي الذي أبداه رئيس الأركان جوزيف دانفورد، تعليقًا على إعلان إيران أخيرًا أنها تعتزم إنشاء مصفاة نفط كبرى قرب مدينة حمص في وسط سورية، ومحذرًا من «زيادة نشاطات إيران في سورية»، في وقت تطالب واشنطن باستمرار بإنهاء الوجود الإيراني في هذا البلد.

ويؤكد مدير تقنيات المصب في معهد بحوث صناعة النفط الايراني أكبر زمانيان: أن المصفاة ستقوم بتكرير (١٤٠ ألف) برميل يوميًا من النفط السوري الخفيف والثقيل، وسيتم تشييدها بمشاركة كونسورتيوم بين إيران وفنزويلا، إضافة إلى سورية.

ويأتي هذا الاستثمار في إطار اتفاق بين البلدين، يشمل قطاع الطاقة، وتقوم بموجبه إيران بإعادة بناء وتجهيز مصفاتي حمص وبانياس؛ اللتين كانتا تعملان قبل الحرب، ويكفي إنتاجها حاجات سورية الاستهلاكية.

كذلك حصلت إيران على ترخيص باستثمار نحو خمسة آلاف هكتار لإنشاء مرافئ وخزانات للنفط في الساحل السوري، إضافة إلى تعاون في استثمار مشاريع الكهرباء بإنشاء محطات توليد ومجموعات غازية على الساحل، وإعادة تأهيل محطات في دمشق وحلب وحمص ودير الزور وبانياس.

وأعطى النظام إيران حق استثمار مناجم الفوسفات في ريف حمص، وهو يعتبر من أكبر حقول الفوسفات في العالم.

أما في قطاع الاتصالات؛ فتستعد طهران لاستثمار مشغل ثالث للخليوي، إلى جانب شركتي «سيرتيل» و «إم تي في» اللتين يمتلك رامي مخلوف معظم أسهمها، ويبلغ حجم الاستثمار في المشغل الجديد نحو (٣٠٠ مليون) دولار، على أن تكون حصة الجانب السوري فقط (٢٠ %)، في مقابل (٨٠%) لشركة إيرانية.

إضافة إلى ذلك؛ هناك استثمارات زراعية لإيران في مساحات كبيرة لا تقل عن خمسة آلاف هكتار، ولكن يبقى الاستثمار العقاري أهم الاستثمارات الإيرانية في سورية، وأكثرهم ربحًا؛ فضلًا عن ضمان الملكية في الدوائر الرسمية، بتشجيع ودعم من الحكومة الإيرانية، وتسهيلات من الحكومة السورية.

وقد توافرت للإيرانيين مناقصات حكومية مفتوحة فقط لهم في مناطق متعددة؛ فضلًا عن أحياء سكنية مدمرة اشتروها لإعادة إعمارها، وأحياء أخرى تم ابتزاز سكانها وإجبارهم على التخلي عن

مساكنهم، في مقابل مبالغ مالية زهيدة، وقامت الحكومة الإيرانية بدور كبير، بتشجيع الشركات والتجار والمقاولين على تملك العقارات المختلفة في سورية، وجندت شبكة ضخمة من المؤسسات والسماسرة، وضخت ملايين الدولارات لتحقيق أهدافها، حتى أنها وفرت لرجال الأعمال والمستثمرين «اعتمادات خطوط ائتمان» بمبالغ كبيرة بالعملات الأجنبية لاستثمارها في هذا القطاع.

أما الحكومة السورية؛ فقد أصدرت عام (٢٠١٣) القانون رقم (٢٥) الذي سمح بتبليغ المدعى عليه بالدعوى غيابيًّا، من طريق الصحف في المناطق الساخنة، خصوصًا بالنسبة للمدينين المتعثرين لدى المصارف الذين تطرح أملاكهم للبيع بالمزاد العلني.

والأمر هنا متاح للمشترين الإيرانيين لأنهم يملكون المال، بينما يعاني معظم رجال الأعمال السوريين من أزمات مالية بسبب خسائرهم نتيجة الحرب، حتى أن تدهور سعر صرف الليرة أمام الدولار ساهم في إجبار السوريين على بيع عقاراتهم أمام إغرائهم بالمال من المستثمرين الإيرانيين.

لا شك في أن كل هذه التطورات ساهمت في إحداث تغيير ديموغرافي لمصلحة المستوطن الإيراني، في ظل حملة تجنيس شملت عددًا لا يقل عن (٤٥ ألف) إيراني -وفقًا لمعلومات رئيس تجمع المحامين السوريين غزوان قرنفل-، إضافة إلى عدد من اللبنانيين والعراقيين.

وهكذا؛ يشتري الإيرانيون نفوذهم في سورية، مدعومًا بقوات عسكرية وميليشيات متعددة ومتنوعة، وقد خضعت الحكومة السورية لشروط إيران الاستثمارية، بعدما عجزت عن دفع الديون المترتبة عليها، والمقدرة بنحو (٣٥ بليون) دولار -وفقًا لصحيفة «ليبراسيون» الفرنسية، نقلًا عن المبعوث الدولي ستيفان دي ميستورا-، ومن أهم شروطها: «هيمنة إيرانية كاملة على آلية صنع القرار في دمشق».

وإذا كانت الحكومة السورية وقعت اتفاقات تسمح ببقاء روسيا مدة (٥٠) سنة، وربما تمتد إلى (١٠٠) سنة، فإن مدة الاستثمارات الإيرانية أقل من ذلك، مع العلم أن وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية السوري أديب ميالة حددها بـ (٢٥) سنة، «على أن تعود ملكية جميع الاستثمارات بعدها إلى الدولة السورية».

ولكن لا بد من الإشارة إلى وجود بعض الاختراقات في الاستثمارات -جغرافيًّا- بين الجانبين؛ سواء كان ذلك في الساحل السوري، أو في مناطق البادية شرقي مدينة حمص.

فهل يستمر القلق الأميركي مع تنفيذ «خريطة لافروف»؛ التي أعادت تعريف الاستقرار في سورية على أساس توزيع الحصص؟

وهل تستطيع «استراتيجية واشنطن» احتواء النفوذ في سورية والعراق واليمن لوضع حد للتدخل الإيراني؟

ربما الجواب مرهون بنتائج الصفقة الدولية المرتقبة بين روسيا والولايات المتحدة بإنجاز الحل السياسي للأزمة السورية.

الحوثيون يهددون بقتل ممثل كوميدي

علي محمد طه - موقع المثقف الجديد، ٢٠١٧/٨/٣

يعتبر الفن السياسي الناقد -في كثير من الأحيان- طريقًا سريعًا إلى التهلكة في كثير بلدان العالم الثالث، ولعل تجربة الفنان اليمني محمد الأضرعي تعتبر بقعة ضوء في سماء الفن المسيس والمنتج وفقًا للمواصفات الخاصة بالأجهزة الأمنية لبعض البلدان، فكثير من الأعمال التي تنتج عربيًّا والتي تدعي نقد الواقع ومحاولة البحث عن التغيير هي في واقعها مجرد مشاريع مخابراتية، الهدف منها: التنفيس عن الناس.

ولعل أبرز ما يمكن ذكره في هذا السياق: الأعمال المسرحية والسينمائية لكل من دريد لحام في سوريا وعادل إمام في مصر؛ والتي صممت من الألف إلى الياء تحت إشراف الأجهزة الأمنية في البلدين لتكون أداة تنفيس وبالون اختبار لتطلعات ومطالب للشعوب، وليس أكثر من ذلك.

وفي ظل المعمعة الفنية الحاصلة على الساحة الفنية العربية؛ والتي تستهدف بمجملها الفكر الديني السني، والتي تصمه

في كثير من الأحيان بأنه سبب رئيس للإرهاب والتطرف؛ كما في الدراما العربية، نرى في الضفة الأخرى فنان من نوع مختلف أخذ على نفسه عهدًا أن يفضح كل يد عبثت بسيادة ووحدة بلده اليمن، وكرّس كل جهده وفنه لفضح ممارسات الحوثيين التخريبية وداعمه الإيراني؛ من خلال سلسلة أعمال تتحدث بلسان حال الواقع اليمني، وتقدم المأساة اليومية للمواطن بقالب فني ساخر.

بدأ محمد الأضرعي مشواره الفني كمنشد ديني، في بداية التسعينات من القرن الماضي، ثم اتجه للتمثيل الكوميدي الناقد والغناء الذي يحمل الطابع السياسي والاجتماعي، وعقب انتخابات عام (١٩٩٧م) في اليمن أصدر مع مجموعة من المنشدين أول عمل سياسي له بعنوان: (نجوم الليل تسألني) سجن عدة مرات بسبب ما قدمه من أعمال فنية عن الفساد السياسي والاقتصادي في اليمن.

وبعد الانقلاب على الشرعية في اليمن ركز الأضرعي جلّ أعماله الفنية على تسليط الضوء على المواطن المسحوق من جهة، والكشف عن فساد الانقلابيين في اليمن وممارساتهم الوحشية تجاه الشعب اليمني، ومحاولاتهم البائسة للسيطرة على مفاصل الدولة.

وبالرغم من أن الكثير من بسطاء أهل اليمن قد أنفضوا عن عالم السياسة وتشعباتها، وفضلوا توجيه جل اهتمامهم لتحصيل قوتهم اليومي بدلًا من تضييع الوقت في تحليلات سياسية قد لا تقدم ولا تؤخر شيئًا على المجريات على الأرض؛ إلا أن الكثير منهم بات يتابع أعمال الأضرعي بشغف، كونها تقدم المأساة اليمنية بقالب ساخر رسم البسمة على وجوه الكثير منهم، وأنساهم ويلات ومآسي بلدهم المستمرة!

◙ تعاون الأضرعي مع قناة «سهيل»:

وجد الفنان محمد الأضرعي في قناة «سهيل» الفضائية ملاذًا له، ومنبرًا حرًّا لتقديم برامجه وأعماله الساخرة؛ حيث تطابقت وجهات نظر الجانبين في تعاطيهما مع الشأن اليمني، وخلال الفترة الماضية قدم الأضرعي الكثير من الأعمال الفنية الهادفة؛ التي حاكت الواقع المعاش للشعب اليمني.

ولعل سياسة قناة «سهيل» التي أخذت على عاتقها فضح ممارسات الحوثيين في اليمن تلاقت مع نهج الأضرعي -ذلك الفنان الساخر-، وقد كانت باكورة نجاحهما المشترك تقديم برنامج «غاغه» الذي يقدم في رمضان الحالي، وهو عمل اجتماعي سياسي ساخر، يعمل على تعرية ميليشيا الحوثي وصالح، ويكشف جانبًا من عمليات الإرهاب والقمع والتعذيب التي تمارسها مليشيا الحوثي مع اليمنيين في المناطق التي يسيطرون عليها.

◙ تهديد بالقتل:

ومع ازدياد شعبية الأضرعي زادت التهديدات الموجهة له من قبل الانقلابيين ومن قبل ميليشيا الرئيس السابق علي صالح، ففي عام (٢٠١١م) تعرض الأضرعي لمحاولة اغتيال بعد سلسلة من الأهازيج السياسية الشهيرة التي قدمها في ثورة الشباب، مما أضطره بعدها أن يعيش متخفيًّا بين قرى منطقته ذمار، ومع انطلاق عاصفة الحزم طلب الانقلابيون الحوثيون منه أن يصدر أهزوجة ساخرة ضد عملية «عاصفة الحزم»، لكنه رفض وبشدة؛ لأن عاصفة الحزم -كما يقول- هي المخرج الوحيد لليمن مما هي فيه، ولو لم تكن لكانت اليمن اليوم ولاية إيرانية!

وقد تلقى الأضرعي من الحوثيين عدة تهديدات بالقتل إن لم ينفذ طلبهم؛ مما أضطره حينها لمغادرة البلاد للعيش في الخارج.

◙ تقليد ملالي إيران وهدر دمه!

يرى الفنان الأضرعي -كما قال مرارًا- بأنه لولا تدخل إيران في الشأن اليمني لكانت اليمن بألف خير، ويرى أن للمرجعيات الدينية في إيران تأثيرًا كبيرًا على قيادات الحوثيين خاصة ومعشر الحوثيين عامة في اليمن.

ويعتقد الأضرعي وبشدة أن خزعبلات وافتراءات ملالي إيران على أهل السنة عمومًا وعلى أهل اليمن خصوصًا متكررة، بل متزايدة؛ خاصة أن إيران تخطط اليوم للاستيلاء على اليمن بالتعاون مع الانقلابيين على السلطة في اليمن.

ويبرر الأضرعي مقطع الفيديو الشهير الذي أطل به بشكل

ساخر يقلد فيه أحد ملالي إيران بأنه وسيلة لفضح خرافاتهم وبدعهم المضللة، وأنهم من هذا الباب يكذبون على العامة، ويسيرونهم كما يريدون، ومن هذا الباب زرعوا في أذهان الحوثيين المظلومية في اليمن، وأنهم أحق بحكم البلاد من غيرهم.

ويرى أن إيران هي السبب الرئيس لكل مشاكل وويلات اليمن، فهي من مزقت وحدته، ومن تعمل ليل نهار على تغيير هويته القومية والدينية.

ولقي المقطع الساخر نجاحًا كبيرًا على طول وعرض العالم العربي، واعتبر من قبل الحوثيين أداة استفزاز وتحطيم للوحدة الوطنية، بل طالب بعض قياداتهم بجلب الأضرعي لليمن لمحاكمته بتهمة الخيانة والعداء للوطن، وأصدرت قيادات دينية حوثية بيانات هدرت دم الأضرعي بتهمة الإساءة لشيعة آل بيت الرسول الكريم.

ورغم محاولات القتل والاعتقال المتكرر، وحملات الترغيب والترهيب؛ فإن الأضرعي استطاع وبجدارة أن يحظى بشعبية كبيرة بالوسط اليمني والعربي، وأن يتميز بأسلوبه الفني الساخر في إلقاء الأناشيد اليمنية الناقدة لحكم الحوثيين وصالح، ليصبح علامة فارقة في سماء الفن العربي؛ الذي يقدم مضمونًا يحترم نفسه ويحترم وعقلية متابعيه، ليشكل فيما يقدمه عملًا فنيًّا راقيًا، يلامس آمال وآلام المواطن اليمني المغلوب على أمره.

انعكاسات تصدّر إيران قائمة غسل الأموال وتمويل الإرهاب

د. محمد السلمي - الوطن السعودية، ٢٠١٧/٤/٤

للعام الرابع على التوالي تصنف إيران في المركز الأول ضمن (١٤٦) دولة في العالم في قائمة جرائم غسل الأموال وتمويل الإرهاب، ولهذا التصنيف انعكاسات جادة على أمن واستقرار المنطقة العربية، وحتى على مستوى معيشة الشعب الإيراني نفسه .

بداية؛ صنف معهد بازل السويسري للحوكمة إيران مؤخرًا بالدولة الأولى عالميًّا في جرائم غسل الأموال وتمويل الإرهاب باستخدام هذه الأموال، متفوقة في ذلك على كوريا الشمالية وأفغانستان، ولكي تتم الجريمة الأولى المتعلقة بغسل الأموال لا بد من وجود شبكة من الأعمال المالية غير الشرعية، يندرج تحتها التهريب بأنواعه كافة وتجارة السلاح والمخدرات، ثم تُدخل الأموال الناتجة عن هذه العمليات إلى القطاع المصرفي لكي تكتسب الصورة والغطاء الشرعيّيْن، ثم تُرتكب الجريمة الثانية وهي: استخدام الأموال في تمويل الأعمال المتعلقة بالإرهاب الإيراني في المنطقة العربية؛ الذي يحتاج بدوره إلى معاونة وتستّر شبكة من الفساد في القطاع المصرفي.

إن الانعكاس الأهمّ والأخطر لتصنيف إيران الأخير والمتكرر للسنة الرابعة على أمن واستقرار المنطقة العربية، هو: أن إيران تحشد كل ما يمكن حشده من موارد مالية -شرعية كانت أو غير شرعية- لتطويق المنطقة العربية، وتحقيق الهلال الشيعي بصبغته الفارسية.

إن تمويل الإرهاب يحتاج إلى مصادر مالية ضخمة بعشرات وربما مئات المليارات من الدولارات، لن يوفرها الشكل الشرعي وحده المتمثل في حصة الدفاع من الموازنة الحكومية، وفي ظل ارتباط الإرهاب العسكري خارج الحدود الإيرانية بالحرس الثوري الإيراني، ممثلًا في فيلق القدس، فلا عجب إذًا من وجود صلة بين جرائم غسل الأموال والحرس الثوري، فالأخير يسيطر على عديد من المنافذ البرية والبحرية والجوية في إيران، ومتورط في عمليات تهريب البضائع والأسلحة، كما يسيطر على عديد من المصارف الكبرى في إيران، ومن ثم أصبحت أركان عمليات غسل الأموال وتمويل الإرهاب متاحة.

أما الموارد المالية الشرعية؛ فتأتي عن طريق الموازنة الحكومية التي زادت مخصصات الدفاع، ورفعت ميزانية الحرس الثوري بنسبة تقارب الثلث، معنى هذا: أن إيران مستمرة في حشد الأموال بأي طريقة، بغض النظر عن مصدرها لتحقيق أهدافها خارج الحدود، كما أن تعاون المجتمع الدولي معها دون وضع حدّ لجرائمها خارج حدودها ودون ضوابط صارمة لحصار مموّلي الإرهاب يزيد والاقتدار

المالي لديها واستخدامه في تهديد استقرار شعوب المنطقة.

وهذا يستدعي مزيدًا من الجهود العربية المشتركة على هدف واحد هو: مواجهة الخطر الذي يتمدد يومًا بعد يوم في المنطقة عبر أذرع بأسماء مختلفة، وتسخير جميع القوى باختلاف أنواعها لحصار هذا التمدد.

أما الانعكاس على الإيرانيين أنفسهم فيعني هذا التصنيف بشأنه كثيرًا مما لا تسعه سطور هذا المقال، فبعد تغيير رأس السلطة - لا القيادة - السياسية من قائد ينتمي إلى ما يسمى بالمتشددين (أحمدي نجاد)، إلى سياسي محسوب على ما يعرف بالإصلاحيين (حسن روحاني)، لا تزال إيران الراعية الأولى للإرهاب وجرائم الأموال، بمعنى آخر: لا فرق كبير بين سياسي متشدد وسياسي إصلاحي، وتوجد سياسة وتوجه أكبر من سلطة الرئيس التنفيذي ماضية في تحقيق أهدافها الكبرى.

وبعد أكثر من عام وتسعة أشهر على تنفيذ الاتفاق النووي الذي كان يسوق له القادة الإيرانيون على أنه طوق النجاة للاقتصاد الإيراني، ولتحسين مستوى معيشة الإيرانيين؛ يأتي هذا التصنيف ليقول للمستثمرين والمتعاملين ماليًّا مع إيران: «توخوا الحذر الشديد! وتنبهوا قبل التورط مع شركة إيرانية قد تكون في العلن شريكًا استثماريًّا محتملًا، وفي الخفاء مجرد ستار شرعي لشركة تابعة للحرس الثوري أو كيان يمول عملياته خارج إيران! مما قد يوقع الشركات الأجنبية تحت طائلة الغرامات المالية الأمريكية».

وبناء على ما تقدم؛ ماذا جنى الإيرانيون اقتصاديًّا؟ وماذا لم يجنوا حتى الآن؟ جنى النظام الإيراني مضاعفة صادراته النفطية بعد الاتفاق النووي، وزيادة موارد الحكومة المالية، ولكن لم يجن الشعب الإيراني أثر هذا على تخفيض مستويات البطالة والفقر المرتفعة، ونما الاقتصاد الإيراني بمعدل أقل من (٢%) العام الماضي، دون احتساب النمو النفطي الذي يتركز فيه أغلب النمو دون باقي القطاعات.

إن استمرار أنشطة إيران في تمويل الإرهاب وتصدرها قوائم التقارير الدولية في ذات الشأن جعل الشركات الأجنبية تحذر الدخول والانتشار في السوق الإيرانية في عديد من المجالات غير النفطية المتعطشة للاستثمارات الحديثة لزيادة الإنتاج والتشغيل وتحسين جودة حياة الإيرانيين.

لقد ذهبت أحلام الشباب الإيراني الذي احتفل بتوقيع الاتفاق النووي أدراج الرياح، فلم ينعكس أي تحسن في الدخل الحكومي ورفع العقوبات على حياته المعيشية، وجنى النظام الثمرة لتمريرها للميليشيات في الخارج، بينما نصب الشعب يتضور جوعًا.

إيران وإستراتيجية ترامب الجديدة

د. نبيل العتوم - مركز أمية، ٢٠١٧/١٠/١٥

أخيرًا وكما كان متوقعًا أعلنَ الرئيس الأميركي دونالد ترامب عن إستراتيجية أميركية جديدة تجاه إيران، ناقلًا ملف «الاتفاق النووي» برمته إلى الكونغرس ليدرس كيفية تعديله، وإجراء تعديلات مقترحة عليه .

لم يخرج الرئيس ترامب عن المتوقّع؛ فهو لم «يمزّق» الاتفاق النووي؛ كما كان يهدّد في حملته الانتخابية، وفي حرب التويتر التي شنّها، ولم ينفذ ما أطلقه «العاصفة»، لكنه في الوقت عينه فتح الباب أمام إلغائه؛ من خلال عدم تصديقه على التزام إيران بالاتفاق في حال لم يقم الكونغرس بالدور المطلوب منه.

ما لم يقله ترامب في إستراتيجيته: أنّ الحرس الثوري كيانًا إرهابيًّا، بل نقل مهمة ذلك إلى وزارة الخزانة، وهذا له دلالاته وأهدافه ودوافعه، مع أنَّ المفارقةَ الغريبة العجيبة الأولى التي تتضح من خلال هذه الإستراتيجية: أنَّ ترامب يعتبر إيران أكبر راعية للإرهاب في العالم، وكرّر هذه العبارة أكثر من (٣٨) مرّة منذُ تولية دفةَ الأمور في واشنطن؟!

أمّا المفارقة الثانية: لم يشر ترامب في إستراتيجيته إلى حلفائه وشركائه الغربيين، وهم الذينَ طالما وقفوا إلى جانب أمريكا في سياستها.

المفارقة الثالثة: كانَ الردّ الأوروبيّ جاهزًا، ومعدًّا مسبقًا عقب خطاب ترامب مباشرة، وهذا يعكسُ ليس حجم عدم التوافق مع الإستراتيجية الأميركية، بل يعكسُ درجةَ المصالح الاقتصادية التي باتتْ تحكمُ العلاقات الأوروبية الإيرانيّة، ولو على حساب مصالح وأمن شعوب دول المنطقة، في الوقت الذي باتت معه إيران فعليًّا أحد أكبر مصادر التهديد في الشرق الأوسط، ومن المفترض أنْ يدفعَ هذا الموقف إلى أهمية مراجعة شاملة للعالم العربي لعلاقاته مع أوروبا؛ التي لا تعيرُ اهتمامًا لدرجة ما باتتْ تعاني دول المنطقة وشعوبها من الإرهاب الإيراني.

ما قالته أوروبا وروسيا والصين يحملُ نبرةَ التّحدي لأميركا والعرب على حدّ سواء؛ من خلال اعتبار الاتفاق النووي بين إيران والقوى الست الكبرى، أقوي من أن يمزّقه ترامب؛ كما وعد مرارًا، حيثُ كانَ رفضُ منسقة السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي فدريكا موغريني المس بالاتفاق، ملفتًا عندما أكدت أنَّ الرئيسَ الأمريكيّ يملكُ صلاحيات واسعة إلا أنّه لا يملكُ القدرةَ على إلغاء الاتفاق مع عدم وجود أيّ بديل للاتفاق النووي الدوليّ، حتى تجاهلتْ سؤالًا حولَ أهمية إجراء تعديلات حول الاتفاق للخروج من الأزمة الحالية.

ولم يقف الأمر هنا، بل تجاوز البعض أن ما تفوه به ترامب سيُحدثُ شرخًا كبيرًا في علاقات أمريكا مع حلفائها الأوروبيين، وكانَ وزيرُ خارجية ألمانيا زيغمار غابرييل أكثرَ صراحةً من الجميع عندما أعلنَ أن عدم تصديق ترامب على التزام إيران بالاتفاق النوويّ سيقرّبُ الأوروبيين من روسيا والصين، وسيدفعهم إلى اتخاذ موقف مشترك معهم.

هنا نُذكر أنَّ الأوروبيين تحديدًا قد نسوا أوتناسوا أنَّ طهرانَ فعليًّا قد استغلت الاتفاق النووي ووظفته كغطاء لتهديد الأمن الإقليمي والعربي، مما منحها غطاءً وهامشًا واسعًا للعبث الأمني والتخريب؛ من خلال تشكيل الخلايا النائمة، وإرسال مرتزقتها ومليشياتها حتى يعملوا ذبحًا وقتلًا في سوريا والعراق واليمن.. والقائمة تطول.

أمّا ردُّ إيران على خطاب ترامب؛ فكانَ يعكس ردّ فعل دولة مأزومة، ولم يجدْ بينَ دول العالم سوى دول أوروبا إلى جانب روسيا والصين من يدعمها في موقفها الشاذّ من الاتفاق النووي؛ الذي يراعي مصالحها الخاصة الضيقة، بينما العالم مع ضرورة إدخال تعديلات صارمة على الاتفاق النووي، بحيثُ تُلجمُ الصَّلفَ والعدوان الإيراني.

- **المؤكد الأول:** أنّ إيرانَ ستعملُ على تفكيك التحالفات الأوربية مع أميركا؛ فيما يخصُّ الملف النووي الإيراني، والسعي لعدم إدخال أيّة تعديلاتٍ عليه.
- **المؤكد الثاني:** أنَّ طهرانَ ماضيةٌ في سياساتها العدوانية، والسعي لبناء ترسانة صاروخية، وتوسيع قاعدة إنتاج أسلحة الدمار الشامل؛ مع الاستمرار بسياسة الخداع النووي، وتهديد الأمن الإقليمي برمته، مع الحرص على عدم الخروج من الاتفاق النووي؛ مهما كانتِ الأسباب.
- **المؤكد الثالث:** أنّ المرشدَ والحرس الثوريّ وخلفهم روحاني سيكونُ لديهم أزمة داخلية متفاقمة مع التداعيات الاقتصادية والعسكرية والإستراتيجية بعد الاستدارة الأميركية الأخيرة، وسيكونُ التغطية على فشل الدولة الإيرانية الذريع من خلال توسل النظام الإيراني نحو دبلوماسية تضخيم المخاطر الخارجية التي تبرع دولة الولي الفقيه في توظيفها دومًا؛ لامتصاص نقمة الشارع، هذا علاوة على أن هناك أطراف داخلية إيرانية شعبية كبيرة وواسعة رافضة لسياسات النظام التي أدت إلى تفاقم مشاكله، وأسهمت في العودة للمربع «صفر» بعد إهدار مقدرات الدولة وثرواتها، والتفريط بمصالح الشعب المغلوب على أمره بفعل مغامرات النظام العبثية وغير المسؤولة.
- **المؤكد الرابع:** أنَّ حلفاءَ واشنطن الأساسيين سيتحملونَ عبئًا مهمًّا في إستراتيجية المواجهة مع إيران؛ خاصّة أنَّ مسودة الإستراتيجية الأميركية مَن تؤكد أنّ على واشنطن أنْ تتجنب الالتزامات العسكرية المكلفة مع إيران لوحدها، وهذا لنْ يتأتى إلا من خلال شراكات مع حلفاءها في المنطقة.

لا شكّ بأنَّ الإستراتيجية الأميركية تتضمنُ خطوطًا عريضة، ولا تقدّمُ في الوقت نفسه أيّة تفاصيل أو آليات تُذكر عن كيفية ترجمة الولايات المتحدة ذلك إلى خطوات إجرائية عملية، كذلك لم تتحدث الإستراتيجية الجديدة بشكلٍ واضحٍ عن الترويج لفكرة دعم أية عملية انتقال داخلي للإطاحة بالنظام الديكتاتوري الإيراني، وعن كيفية توظيف واشنطن أدوات «القوة الناعمة والصلبة» الأخرى لدعم مطالب الشعب الإيراني.

بطريركية فاسدة في فلسطين!

معن البياري - العربي الجدي، ٢٠١٧/١٠/١٦

لا تُسعفنا النتف الصحافية بشأن البيع المشبوه والمضطرد لأراضٍ وعقاراتٍ في فلسطين، والذي ترتكبه البطريركية الأرثوذكسية لمدينة القدس وسائر أعمال فلسطين والأردن؛ بأن جهودًا قوية تبادر إليها الحكومتان الأردنية والفلسطينية من أجل وقف هذه الأفعال؛ التي لا تزيّد في وصفها جرائمَ موصوفةً بحق فلسطين وشعبها.

وإذ من المرجح أن الحكومتين تتابعان هذا الأمر بقلق، وربما تعملان على منع التمادي فيه، إلا أننا لا نصادف شيئًا من هذا في الإعلام الذي نقرأ ونشاهد، ما قد يجيز الجهر هنا، وفي كل مطرح مُتاح بأن ثمّة تقصيرًا فلسطينيًّا وأردنيًّا ظاهرًا في هذا الشأن الخطير، يكاد لا يأخذ ما سمّاها الكاتب والناشط الفلسطيني جواد بولص: «مذبحة عقارات الكنيسة الأرثوذكسية» بالجدّية الواجبة، وهو التقصير الذي قد يكون من أسباب استخفاف البطريرك ثيوفيلوس الثالث بأي قلقٍ تبديه الحكومتان المذكورتان، وهو يواصل بهمّةٍ نشطةٍ بيع أراضٍ وعقاراتٍ تابعة للكنيسة اليونانية الأرثوذكسية في فلسطين، والتي تعد من كبار ملاك الأراضي الوقفية في عموم فلسطين، والمالكة الثانية للأراضي في فلسطين المحتلة في (١٩٤٨)، بعد سلطة أراضي إسرائيل.

وإذا كانت أخبارٌ قد جاءت على مناصرة الرئيس محمود عباس مخرجات مؤتمرٍ وطنيٍّ فلسطيني أرثوذكسي، عقد في بيت لحم الأسبوع الماضي، تعلق بالذي يقترفه ثيوفيلوس الثالث ومتعاونون معه -عرب وغير عرب-، فإن المأمول والمرتقب من الرئاسة الفلسطينية أن تشرع -بالتعاون مع الحكومة الأردنية- باتجاه عزل البطريرك المذكور، كما سبق أن عُزل اثنان من بطاركة الكنيسة نفسها في وقت سابق، والمضي في تجديد الجهود المنسيّة الهادفة إلى تعريب الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين، إذ ليس معقولًا أن يكون المعنيون برعاية الطائفة الكريمة وناسها من خارج البلاد! تعيّنهم اليونان من مواطنيها، ويُكتفى بمصادقةٍ تقليديةٍ من الحكومتين الأردنية والفلسطينية على هذا التعيين، بل ويرتكبون فسادًا واضحًا في بيع أوقاف الكنيسة، بأرخص الأثمان؛ لشركاتٍ وجهات وهمية وأخرى صهيونية واستيطانية.

يضيء كشفٌ مثيرٌ نشرته صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية، في (١٣ أكتوبر / تشرين الأول) الجاري، على فصولٍ مستجدةٍ من جرائم البيع والتأجير الفاسدة التي ارتكبتها بطريركية ثيوفيلوس الثالث، ويشتمل على معلومات خطيرة، بناء على وثائق وصلت إلى الصحيفة.

ويكفي هذا الكشف وحده لانتفاضةٍ وطنيةٍ فلسطينيةٍ عاجلة، يشترك فيها الرسمي والأهلي؛ من أجل طرد البطريرك المذكور ومعاونيه في الصفقات المريبة.

ومن بين وقائع مهولة، متصلةٍ بأرشيفٍ ممتدٍّ من الفساد في البيع والتأجير، يعود إلى سنوات يبعث على الاندهاش بيع عقارات في يافا، بمساحة ستة دونمات، في أهم موقع تجاري في المدينة؛ لشركة مسجلة في جزيرة في البحر الكاريبي، بأقل من (٢٠%) من سعرها؟! وكذلك بيع تلة صنوبر في القدس المحتلة (٢٧ دونمًا)، ومقام عليها مركز تجاري و٢٤٠ شقة) بأقل من (١٠%) من ثمنها؛ لشركة مسجلة في الجزر العذراء، ثم بيعت لشركة أخرى مسجلة في جزر كايمن! (أين تقع؟!).

وقرّاء هذه السطور مدعوون إلى مطالعة تقرير «هآرتس»، ليقعوا على موجز بشأن جديد ما تفعله الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية

في فلسطين، والتي تظاهر مئاتٌ من الفلسطينيين المسيحيين غير مرة ضدها، كانت إحداها الأسبوع الماضي؛ لمّا جاء ثيوفيلوس الثالث إلى بلدةٍ في الجليل لإقامة صلاة الأحد في كنيستها، وكان لافتًا وصف بيانٍ لمجلس الطائفة الأرثوذكسية واللجنة التنفيذية للمؤتمر الأرثوذكسي في الناصرة البطريرك المذكور بالخائن.

ليس في وسع سطور هذه المقالة أن تحيط بكل جوانب هذا الملف، وإنما في وسعها أن تدعو إلى أن تحتل هذه القضية الوطنية أولوية متقدمة في المشاغل الفلسطينية الراهنة، وأن تدعو الحكومة الأردنية إلى تذكّر مسؤولياتها بشأن القدس؛ حيث الرعاية الهاشمية للمقدسات هناك بند متوافق عليه فلسطينيًّا وإسرائيليًّا، طالما أن البطريركية الأرثوذكسية في فلسطين والأردن -اليونانية أشخاصًا وتعيينًا- ترتكب -في محيط هذه المقدسات في المدينة المقدسة- موبقاتٍ معلومة، يفيد بشأنها تقرير «هآرتس» وغيره، وإنْ يُفترض أن حكومتي عمّان ورام الله ليستا في حاجة إلى صحيفة إسرائيلية لتعرفا أي مدىً مريع بلغته ممارسات البطريركية المتحدّث عنها...

هل ننتظر تحركًا فاعلًا وضاغطًا ومؤثرًا؟ أم أن غضبَ معلّقٍ في صحيفة هنا وآخر في صحيفة هناك يكفي؟

بين محاكمة «داعش» ومحاكمة قتلة الحريري

د. فراس الزويعي - الوطن البحرينية، الأربعاء ٢٠١٧/٩/٢٧

لعل قرار مجلس الأمن الأخير الخاص بتشكيل لجنة لمساءلة تنظيم الدولة «داعش» يعيد إلى الأذهان قرار مجلس الأمن نفسه قبل عشر سنوات والقاضي بإنشاء محكمة خاصة بلبنان لمحاكمة المتورطين بقتل رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريري، وفي ذلك وجه من الشبه.

يوم (٢٢ سبتمبر) الماضي تبنى مجلس الأمن الدولي على هامش أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة رفيعة المستوى قرارًا وبالإجماع بخصوص مساءلة تنظيم «داعش» وجرائمه التي ارتكبها في العراق، وبموجب هذا القرار سيعين الأمين العام للأمم المتحدة فريقًا للتحقيق برئاسة مستشار خاص، وسيتم جمع وحفظ الأدلة التي تعد جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية؛ لضمان استخدام هذه الأدلة على أوسع نطاق ممكن أمام المحاكم الوطنية أو التحقيقات التي تضطلع بها سلطات بلد ثالث بناء على طلب ذلك البلد، ومن ضمن مهام رئيس فريق التحقيق: تعزيز المساءلة العالمية عن تلك الانتهاكات.

رئيس هذا الفريق سيقدم تقريره الأول خلال تسعين يومًا من بداية تعيينه، ثم تكون تقاريره اللاحقة كل (١٨٠) يومًا، أما مدة عمله فستمتد لسنتين مع إمكانية التمديد.

هذا القرار تقدمت به بريطانيا لمجلس الأمن بعد أشهر من المفاوضات مع العراق.

هذا القرار سيفتح الباب واسعًا أمام المحاكم الدولية بعدما تبدأ الأدلة بالظهور؛ لا سيما وأن المقصود لن يكون عدد من المجرمين مارسوا أعمالًا إجرامية، فهؤلاء لا يتطلعون إلى محاكمات عادلة، ولا الطرف الآخر حريص على محاكمتهم إلى هذه الدرجة، فهم بين هارب وقتيل، ومن يقعون بيد من يقاتلهم تنفذ فيهم إعدامات ميدانية؛ كما شهدنا.

ولكن هذا القرار سيطال دولًا، وسيستخدم لإدانتها، وكلنا تابع في الأشهر والسنوات السابقة الاتهامات التي وجهت لتركيا بتسهيلها عملية دخول أعداد كبيرة من مقاتلي «داعش»، واتهامات أخرى وجهت لإيران وعلاقتها بهذا التنظيم؛ إلا أنها في النهاية تبقى مجرد اتهامات غير مثبتة، ولم تأت في سياق لجان متخصصة تجمع الأدلة.

كما إن هذا القرار سيستخدم للضغط على دول أخرى لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية.

يذكرنا هذا القرار بقرار مجلس الأمن عام (٢٠٠٧)؛ والذي جاء بعد طلب من لبنان من أجل إنشاء محكمة خاصة لمحاكمة المتورطين في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري، وكيف عارضت سوريا و«حزب الله» هذه المحكمة، وحاولوا عرقلة عملها! لكن مع اختلاف بسيط؛ فمحكمة مساءلة «داعش» لن

يتمكن أحد من الاعتراض عليها أو الوقوف بوجهها، فالكل متفق على التخلص من هذا التنظيم، وهناك تحالف دولي لقتاله... الأيام المقبلة ستحمل أحداثًا كثيرةً بهذا الخصوص.

ماذا وراء استقدام «حزب الله» ميليشيات عراقية إلى لبنان؟

هدى الحسيني - الشرق الأوسط، ٢٠١٧/٩/٢١

نجح الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصر الله في الفترة الأخيرة في إثارة غضب حيدر العبادي -رئيس الوزراء العراقي-؛ إذ نظم ترحيل المئات من مقاتلي تنظيم داعش الإرهابي من سوريا ولبنان إلى الحدود بين سوريا والعراق، كجزء من صفقة، أثارت الكثير من التساؤلات حول «مصداقية» الحزب.

وأسرع العبادي إلى وصفها بأنها «غير مقبولة»؛ خصوصًا أن المعارك مع «داعش» مستمرة في بلاده، ولم تكن هذه المرة الأولى التي يقوض فيها نصر الله تحركات العبادي.

أما الآن؛ وفي حين أن الولايات المتحدة مشغولة بالتوتر المتزايد مع كوريا الشمالية، وأوروبا مشغولة بملاحقة إرهابيي «داعش»، ودول الخليج تحاول درء الأخطار عنها؛ يشعر نصر الله بأن لبنان ساحته المفتوحة بعيدًا عن أعين القوى العظمى، فهو بصدد تطبيق خطة جلب المئات من عناصر الميليشيات العراقية الشيعية إلى لبنان؛ الذين حسب القانون يخضعون لسلطة العبادي.

تشير الدلائل الأخيرة إلى أن عناصر الميليشيات العراقية بدأت تصل بالفعل إلى لبنان للتدريب في مخيمات «حزب الله»، في البقاع والجنوب، والخطة هي: أن تستقر في البلد، وتعمل في وحدات الحزب، على أساس دائم.

في العامين الماضيين خرجت تقارير إعلامية كثيرة عن مجموعات من المقاتلين الشيعة الذين يأتون إلى لبنان للتدريب من قبل الحزب وتحت رعاية «فيلق القدس» الإيراني، الخاضع بدوره لـ «الحرس الثوري»، وبعد التدريب كان يتم إرسال هذه المجموعات إلى مناطق المعارك في سوريا واليمن دون أن تبقى في لبنان، ويبدو الآن الخطة لعامي (٢٠١٧ و٢٠١٨) هي إدماج هؤلاء المقاتلين في وحدات «حزب الله» في لبنان، وعلى أساس دائم.

هذا التطور هو نتيجة (٦) أشهر من الاجتماعات بين كبار مسؤولي «حزب الله»، وعلى رأسهم: المسؤول عن فرع العراق في الحزب، وقادة «فيلق القدس» وقادة الميليشيات الشيعية العراقية.

أوصل إلى هذا التعاون الثلاثي المعارك في سوريا التي عززت علاقات «حزب الله» أكثر مع «الحرس الثوري» الإيراني والميليشيات الشيعية العراقية، بما في ذلك «كتائب أهل الحق» و«الحشد الشعبي».

بعض رجال الميليشيات الذين يأتون إلى لبنان ينتمون إلى «الحشد الشعبي»؛ مما يعني: أنهم يشكلون قوة عسكرية رسمية تستجيب لرئيس الوزراء العراقي؛ على الرغم من أن نشاطها في لبنان يتناقض مع سياسة حكومة العبادي في بغداد.

بالطبع ليس العبادي وراء هذه الخطوة، بل إيران التي تمسك بقبضتها الحديدية كل الميليشيات الشيعية العراقية، بالإضافة إلى «المرتزقة» الأفغان والباكستانيين، وتقوم بنشرهم في ساحات معاركها في الدول العربية.

لا تستثني إيران وحدات «حزب الله» للقتال في سوريا منذ بداية عام (٢٠١٢)، وتشير التقديرات إلى أنه خلال الأشهر الأخيرة وفي ذروة القتال أرسل «حزب الله» نحو (٦ آلاف) من مقاتليه إلى المستنقع السوري، أي: نحو الثلث من قواته القتالية.

تكبّد الحزب ثمنًا باهظًا! إذ فقد نحو (١٥٠٠) مقاتل، وذكرت مصادر داخلية أن نحو ألف آخرين أصيبوا بجراح بالغة، ولن يكون بمقدورهم القتال من جديد، ومن المشكوك فيه أن يتمكنوا حتى من ممارسة حياتهم المدنية بشكل طبيعي، وعلاوة على العبء الذي يتحمله الحزب فإن مشاركته المستمرة في القتال في سوريا تركت أثرها الاقتصادي السلبي عليه.

عندما بدأ يشترك في القتال في سوريا كان الحزب مرتاحًا ماديًّا، لكن الآثار المالية للضغط الإيراني عليه من أجل إرسال قوات إضافية لإنقاذ نظام بشار الأسد أدت إلى إفراغ خزائنه تاركة الحزب يتطلع إلى مصادر تمويل أخرى!

لا يزال الأمين العام للحزب يدفع الثمن بشريًّا واقتصاديًّا لحرب إيران في سوريا، لكنه -كما يكرر- يستطيع دائمًا الاعتماد على راعيه الإيراني، وليس من لا شيء أعلن في خطاب ألقاه بمناسبة «يوم القدس» العالمي في (يونيو / حزيران) الماضي أنه في زمن الحرب فإن مئات الآلاف من المقاتلين الشيعة من جميع أنحاء العالم سيساعدون الحزب.

كان يشير إلى وقوف إيران وراءه، وأنها على استعداد للقيام بكل ما يلزم من أجل تشديد قبضتها على الشرق الأوسط، والوصول إلى البحر المتوسط.

إن وصول مقاتلين شيعة إلى لبنان سيكون نعمة ونقمة على السيد نصر الله، والحزب يعمل جاهدًا على خطة تسويقية لانتشارهم؛ إذ لن يكون من السهل على الأمين العام التبرير لأنصاره لماذا يرسل أبناءهم للقتال في سوريا في وقت يأتي بالآلاف من العراقيين للاستيطان في جنوب لبنان؟!

ذلك الخطاب أثار موجة انتقادات من الحكومة اللبنانية، وتسبب في عاصفة شديدة من الرفض لدى اللبنانيين، وسط إحساس بأن المقاتلين الذين في لبنان سيبقون فيه، لكن سرعان ما عمد أعضاء «حزب الله» إلى تسكين المياه، شارحين بأن ما قاله يصب في الدعاية المعادية لإسرائيل، إلا أن الحقيقة هي: أن نصر الله لا يوجه تهديدات فارغة، دائمًا يجس النبض، ولا يتوقف، ويعتمد على أن الآخرين سيتوقفون وسيرضخون، وقد بدأ باتخاذ خطوات لتنفيذ خطته مما يقوض أكثر وأكثر السيادة اللبنانية.

ووفقًا للتقديرات، فبعد وصول مئات المقاتلين إلى لبنان في موجة أولى، ستليها موجات بالآلاف، وللتأكد من جدية التهديد لا يمكن إلا مراجعة ما حدث عندما تم تشديد الخناق على مصير النظام السوري؛ إذ ارتفع عدد المقاتلين الشيعة في سوريا إلى (١٢ ألفًا)، لم يولد واحد منهم في البلاد التي كانوا يقاتلون من أجلها.

وعندما سيأتي المقاتلون العراقيون إلى لبنان تحت رعاية «حزب الله» من الذي سيمنعهم من استقدام زوجاتهم وأولادهم لاحقًا؟ وقد يتزوج بعضهم لبنانيات، إنما لن يحصل أولادهم على الجنسية اللبنانية، وفقًا للقانون المدني حتى الآن.

هذا السيناريو يعني: تدفق جالية شيعية كبيرة إلى لبنان، ليس لها حقوق فيه، وسيقع العبء على «حزب الله» الذي سيكون مسؤولًا عن احتياجات سكان شيعة آخرين، فالقليل الذي بقي في خزائنه فيما يستمر القتال في سوريا مع العقوبات الدولية المفروضة عليه سيدفعه إلى اقتطاعه من الشيعة اللبنانيين المنتمين إليه والأكثر حاجة، لكن العبء الأثقل سيقع على لبنان واللبنانيين.

يعاني اللبنانيون منذ (٧٠) عامًا مع وصول أول اللاجئين الفلسطينيين الذين تصاعدت أعدادهم على مر السنين؛ ليصلوا إلى نصف المليون، ولا يزالون يفتقرون إلى الوضع القانوني، ففتحوا مخيماتهم للإرهاب، وخطر مخيم «عين الحلوة» جاثم بكل ثقله الآن.

ثم جاء أكثر من مليون ونصف المليون سوري سنّي، ويشكو اللبنانيون من العبء الاقتصادي الذي تسبب به هؤلاء؛ الذين ينافسونهم على الوظائف، ويضخمون البطالة المحلية، ويخنقون أكثر البنى التحتية المهترئة في لبنان، ويهددون الاستقرار الأمني.

ويأتي الآن «حزب الله» وبسبب الأطماع الإيرانية ليفرض على اللبنانيين التعامل مع مجموعات أخرى لهم ثقافة وعقلية مختلفة، وأمله في أن يتم استيعابهم، لكن من المؤكد أن السيد نصر الله يتذكر الأحداث التي وقعت عام (٢٠١٠) أثناء الاحتفال بذكرى عاشوراء، في بلدة النبطية في الجنوب؛ والتي تضم الكثير من مراكز قياديي الحزب، فخلال مراسم عاشوراء اندلعت الاشتباكات بين الفصائل العراقية المتنافسة من «تيار الصدر» (يزور لبنان حاليًّا بحماية الحزب)؛ التي جاءت للتدريب على القتال، وبين «تيار إياد علاوي»؛ وكانوا يبحثون عن عمل، وتصاعدت إلى حد اضطرت قوات الأمن اللبنانية إلى التدخل.. ما هي الضمانات لاحقًا التي ستمنع وقوع اشتباكات شيعية عراقية وشيعية لبنانية؟

يتذمر اللبنانيون من أن بلادهم تمر بتغير تدريجي في طابعها؛ لم تعد للبنانيين، بل للفلسطينيين والسوريين وقريبًا للعراقيين.

إن وصول المقاتلين الشيعة العراقيين سيكون له من دون أدنى شك آثار اقتصادية بعيدة المدى، والأخطر ستكون له تداعيات ديموغرافية كبيرة.

يقول السيد نصر الله أنه ذهب إلى القتال في سوريا دفاعًا عن لبنان! هل الإتيان بشيعة من «الحشد الشعبي» العراقي إلى لبنان هو -أيضا- للدفاع عن لبنان، أم نزولًا عند رغبة الأخطبوط الإيراني؟!

توجيه المعركة نحو صعدة

عبد الرحمن الراشد – الشرق الأوسط، ٢٠١٧/١٠/٢

صعدة هي المحافظة اليمنية الملاصقة لجنوب المملكة العربية السعودية، وهي موطن جماعة الحوثي وميليشياتها «أنصار الله» الموالية لإيران.

ولا نبالغ عندما نقول: إن إيران تريد من خلالهم أن تتواجد على الحدود الجنوبية للمملكة؛ بما يشكله ذلك من خطر جسيم، ليس على السعودية فحسب بل كذلك على أي سلطة تحكم صنعاء.

فقد خاض الحوثيون -حلفاء إيران- خمس حروب ضد قوات الحكومة في زمن رئاسة علي عبد الله صالح، وهاجموا السعودية في عام (٢٠٠٩)، وهم من قوّض الاتفاق اليمني الذي رعته الأمم المتحدة عندما دخلت ميليشياتها العاصمة صنعاء واستولت على السلطة في (سبتمبر/ أيلول ٢٠١٤).

للسعودية في اليمن غايتان:

الأولى: تثبيت الشرعية لهذه الدولة الجارة، فأمن اليمن واستقراره مسألة حيوية لها.

والثانية: حماية حدودها وأراضيها من الفوضى والإرهاب والتهريب.

وترتاب السعودية في الحوثيين بأنهم حصان طروادة الذي يختبئ داخله الإيرانيون، بهدف تطويق السعودية، وهم ينشطون حاليًّا بعمليات هجوم مستمرة على حدودها وقصف مدنها، ولولا قدرات السعودية الدفاعية العالية لكانت الصواريخ قد تسببت في هلع وأضرار خطيرة على مدنها الجنوبية، ومدن كبيرة مثل: جدة ومكة المكرمة والطائف.

وما دام أن أكثر من ثلثي مساحة اليمن تم تحريره، وأصبح يخضع للقوات الشرعية تحت سقف التحالف؛ الذي تقوده السعودية، فإنها -أي: الرياض- تملك خيارات جيدة:

أولها: أن تستمر في الحرب ومواجهة القوى المعادية في كل مكان في اليمن ضد قوات صالح والحوثي وتنظيم القاعدة.

والخيار الثاني: أن تكتفي بما تحقق، وتكمل دعم قدرات الحكومة الشرعية عسكريًّا لتعزيز نفوذها على مناطقها.

الثالث: أن تركز على حماية أراضيها، وتخلق منطقة عازلة جنوب حدودها؛ التي تشمل محافظة صعدة.

أعتقد أن الأول -الحرب الشاملة- قد يطول، وهي -في نظري- لم تعد ضرورية بوجود حكومة شرعية في عدن، كما أن صنعاء لم يعد يوجد لها أي تأثير على بقية الدولة.

أما الخيار الثاني -التخلي التام عن الحرب- فهو ليس عمليًّا، لأن قوى، مثل إيران و«القاعدة»، ستنشط، والشرعية قد تضعف.

في حين أن الخيار الثالث -وهو: تنظيف شمال اليمن وخلق منطقة عازلة- سيوحد كل القدرات في ضرب الحوثي في مسقط رأسه، وإن نجحت الحملة فستخدم نتائجها السعودية وبقية اليمن؛ حيث إن معظم الأزمة مصدرها الحوثيون، وبخلع هذا الضرس الفاسد في اليمن سيستقر شمال اليمن، ويحمي السعودية، وبعدها يمكن الالتفات إلى صنعاء.

الحوثي مكوّن يمني صغير نسبيًّا، لا يتجاوز (٣%) من سكان اليمن، وقد يكون عدد الموالين له ضعف هذه النسبة، نتيجة نشاطه فكريًّا وسياسيًّا وعسكريًّا، ولا أملك معلومات موثوقة عن قواته وانتشارها، لكننا نعرف أنها جماعة صغيرة مسلحة ومتطرفة دينيًّا تتبع فكريًّا وسياسيًّا إيران.

ويمكننا أن نفهم خطر جماعة الحوثي أكثر عندما نقارنها بتنظيم القاعدة الذي يشبهها كثيرًا، فصغر عدد أتباع تنظيم الحوثي لا يجعله قليل الخطر، فهو ملتزم آيديولوجيًّا، ويقوم على تعظيم شعيرة القتال: «الجهاد» وفق تفسيراته لها.

وبالتالي؛ من دون محاصرته سيظل مشكلة مزمنة وخطرة على الجميع.

يمكن التعاون مع القبائل اليمنية في الشمال؛ فقد كانت دومًا حليفة للسعودية، ومصدر استقرار تلك المنطقة، ويمكن دحر الحوثي في صعدة؛ فهي مقر قيادته القبلية والعسكرية، وبهزيمتها سيقضى على ميليشياته في بقية مناطق النزاع.

عند انسحابهم من صنعاء نتيجة حرب صعدة سيكون أهون على بقية الفرقاء التفاهم على حل سلمي لمن تبقى في المدينة.

الوضع كما هو اليوم: فشل ذريع للحوثيين وصالح، منذ بداية الحرب؛ فشلوا في إقامة دولة لهم، وفشلوا في منع عودة الشرعية من المنفى، مع هذا؛ لا ننكر أنهم يستطيعون بصفتهم ميليشيات لا جيوشًا الاستمرار في المواجهات والمناوشات، وفي حال إنهاء قوة الحوثيين في محافظتهم فحينها قد يخمد التمرد تمامًا.

مراكز إيرانية في سوريا لتسهيل الانتساب إلى آل البيت

علي محمد طه - موقع المثقف، ٢٠١٧/٩/١٧

مع التواجد الإيراني الكثيف في سوريا بعد عام (٢٠١٢م) انتشر في سوريا ما يسمى بـ «مراكز ومجامع آل بيت الرسول ﷺ»، ويشرف عليها تابعون للمرجعيات الشيعية في العراق وإيران، ويدّعي منشؤوها أنهم يقومون بعمل عظيم، وهو: حصر وإحصاء أنساب آل البيت الكرام، وتنقيته من الدخلاء.

الغريب أن جُل القائمين على هذه المجامع والمراكز هم من الإيرانيين غير العرب، وممن لا يُعرف لهم أصل أو فصل؟!

وتتركز جُل هذه المراكز التي باتت تلقى إقبالًا كبيرًا عليها في مناطق جنوب دمشق؛ خاصة في منطقتي السيدة زينب والسيدة رقية التي تقطنها غالبية شيعية، ومع تزايد قبضة حزب الله والمليشيا الإيرانية والعراقية على دمشق ومحيطها تزايدت أعداد الشيعة القادمين للعيش في هذه المناطق فيما سمي بعملية التغيير الديموغرافي؛ التي تقوم بها إيران في الجنوب السوري، والتي تم بموجبها جلب عشرات الآلاف من الشيعة؛ لتوطينهم في عدة مناطق في محيط دمشق بعد تهجير أهاليها منها.

◄ المجمع العالمي لآل البيت:

وهو من أكبر المجامع الموجودة جنوب دمشق في منطقة السيدة زينب، ويدار بشكل مباشر من إيران، ويعمل هذا المجمع على إصدار بطاقات تنسيب القادمين الجدد ممن يرغبون الانضمام إلى آل البيت.

ويقول القائمون على المجمع أن الهدف منه هو: العمل على حصر المنتسبين لآل البيت؛ لكثرة المدعين والمنتسبين زورًا لهم، فجاء هذا المجمع تلبية لما يحتاجه هذا النسب من عناية واهتمام وتأصيل لأنساب أصحابه، ضمن آلية عمل دقيقة تعمل على حصر الأنساب لمن يدّعون أنهم من آل البيت، وتمحيصها لمعرفة صحتها، وفصل المتنسبين كذبًا عنها.

ويعتبر المجمع العالمي نفسه بأنه المرجع الأول لمن ينتسبون للنسب الشريف في العالم، ويضم المجمع حاليًّا المئات من المنتسبين له، ممن يدعي المجمع أنهم ينتسبون إلى البيت الشريف.

ويرى الكاتب السوري راشد العيسى أن هذا المجمع وغيره خطوة إيرانية خبيثة للسيطرة، وبث النفوذ من خلال إيجاد أتباع لها من الشيعة الجدد، ممن يتم تنسيبهم إلى آل البيت زورًا وبهتانًا؛ سواء من العرب المتشيعين أو من الفرس؛ والذين تم جلبهم بعشرات الآلاف لتوطينهم في سوريا.

وحذر العيسى من هذه المجامع؛ لأنها تهدف بدايةً لتوطين ثم تشييع الجهلاء والمخدوعين من أهل السنة في سوريا بإيران، ودعا للكشف عن حقيقة هذه المراكز والمجمعات وضرورة محاربتها؛ لأنها مخطط خطير يتم بصمت في الجنوب السوري.

◄ مركز أبناء الإمام علي:

ويتخذ هذا المركز من السيدة زينب مقرًا له، ويشرف عليه مكتب المرجع علي خامنئي في الحوزة الدينية في السيدة زينب.

وقد أصدر هذا المركز بيانًا أكد فيه انتساب كلّ من: الخميني وعلي السيستاني وعلي خامنئي ومحمد خاتمي وحسن نصر الله وغيرهم.

ويدعي هذا المركز بأن هؤلاء تعود أنسابهم إلى آل البيت.

وأكد المركز بأن أعداد المنتسبين للنسب الشريف في العالم الإسلامي يزيدون عن الخمسين مليون شخص، أكثرهم في إيران والعراق ودول إسلامية أخرى.

ويقول المركز بأنه وثّق أنساب العديد من الأسر الإيرانية ومن يسمون بالسيّد، أي: المنتسبين إلى آل البيت عند الشيعة؛ حيث تم البحث عن جذورهم، وثبت انتسابهم.

◄ مجمع المراجع الشيعية:

وعددها يزيد عن العشرة في دمشق، وكلها تصدر بطاقات انتساب إلى آل البيت، وتقول بأنها تعمل تلبية لما يحتاجه هذا النسب من عناية واهتمام وتأصيل لأنساب أصحابه.

وتقول بأنها تعمل ضمن آلية عمل دقيقة لحصر الأنساب لمن يقولون أنهم من آل البيت، وتمحيصها لمعرفة صحتها، وفصل المنتسبين كذبًا عنها.

◄ فادي برهان نقيب الأشراف:

ويشغل منصب مدير العلاقات الخارجية في حوزة الخميني، ومن الشخصيات التي تنشط في مجال التشييع في سوريا، ومن المشرفين على ما يسمى: (توثيق أنساب آل البيت)، ومن المقربين إلى النظام السوري وإيران.

ويلقب فادي برهان بـ (نقيب الأشراف في سوريا)، وقد اشتهر اسمه بعد الصفقة الشهيرة التي عملت على تهجير أهالي الزبداني وبلودان إلى منطقة إدلب مقابل فك الحصار عن قريتي كفريا والفوعة الشيعية في محافظة إدلب السورية من قبل فصائل أحرار الشام.

وتحاول وسائل إعلام النظام السوري وحليفتها طهران تسويق (فادي برهان) على أنه نقيب الأشراف، والممثل الرسمي للطائفة الشيعية في سوريا.

وتصدّر برهان عددًا من الفعاليات الداعمة للنظام السوري، كما جمعته صورٌ مع مقربين من القيادة في الجمهورية الإيرانية وحزب الله اللبناني وقادة في الجيش؛ كالعميد عصام زهر الدين، ونافذ أسد الله - قائد الحرس الجمهوري في دير الزور-، وقد نجا رجل الدين من محاولة اغتيال بعد إصابته بثلاث رصاصات في الرقبة والصدر والفخذ، مطلع (أيار ٢٠١٢)، قرب منطقة المضافة الفاطمية بالسيدة زينب جنوب دمشق.

وتطلق كلمة «أشراف» على المنحدرين من آل بيت الرسول محمد ﷺ، ويقول نشطاء سوريون في بيان لهم عام (٢٠١٥م) أن برهان ادّعى مؤخرًا أنه نقيب السادة الأشراف في سوريا؛ بدعم إيراني، مع أنه لا صحة لانتسابه إلى آل البيت، متناسيًا العقاب الإلهي والعذاب المشدد على من ادّعى زورًا وبهتانًا النسب للسادة الأشراف!

وتتهم المعارضة إيران ونظام الأسد بالسعي إلى تغيير ديموغرافي في النسيج السوري، مستدلةً بمطالبه بتهجير أهالي المناطق الثائرة في كافة أنحاء سوريا إلى الشمال، وتفريغ محيط العاصمة من خزانها البشري، إلى جانب حركة التشييع العلنية في محيط دمشق تحت مسميات: (الانتساب إلى آل البيت والدعوة لمناصرة مظلوميتهم).

مؤكدين أن ما يجري يهدف في حقيقته لتحقيق الحلم الإيراني بالسيطرة على المنطقة من بوابة التشييع أولًا، ويمهد الطريق ثانيًا لتمدد المشروع السياسي الإيراني غربًا إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط.

«ميدل إيست آي»: هزيمة السنّة.. كيف هيمن حزب الله على السياسة اللبنانية؟

موقع لبنان ٣٦٠ ، ٢٠١٧/١٠/١

إن الهيمنة الحالية لحزب الله -وهي الجماعة الشيعية القوية في لبنان- على الشؤون المحلية في غياب قوة سياسية مضادة؛ تركت السنة يشعرون بالضعف والإحباط.

قال مصطفى علوش -عضو البرلمان السابق- لـ «ميدل إيست آي» في إشارة إلى السنة في لبنان: «هناك شعور بالهزيمة»؛ على الرغم من أن تعدادهم يساوي تقريبًا تعداد الشيعة في ذلك البلد متعدد الديانات.

أعلن حزب الله -المدعوم من إيران- مؤخرًا انتصاره في سوريا، وقبل أقل من عام تقلد حليفه ميشال عون منصب رئاسة لبنان؛ حيث أصبح لاعبًا إقليميًّا رئيسيًّا، وكان الحزب يقاتل إلى جانب الحلفاء الدوليين للحكومة السورية -بما في ذلك روسيا-، مع الحفاظ على الردع الحدودي ضد الإسرائيليين والتهديد بأن المواجهة التالية قد تحدث على أراضي الدولة العبرية.

وتتعرض الكتلة السنية الرئيسية برئاسة رئيس الوزراء سعد الحريري لأزمات مالية وسياسية، وسط فتور العلاقات مع السعودية، وكان الحريري قد عاد إلى رئاسة الوزراء مع صعود عون إلى الرئاسة في (أكتوبر / تشرين الأول) الماضي، لكن ذلك لم يتم إلا بموافقة حزب الله.

وكان الحزب قد أطاح بحكومة الحريري الأولى في عام (٢٠١١) -قبل وقت قصير من بدء الصراع السوري- عندما سحب حزب الله وحلفاؤه وزراءهم من الحكومة.

وكان رئيس الوزراء قد هيمن على أصوات السنة في الانتخابات البرلمانية الأخيرة، ولكن هذا كان في عام (٢٠٠٩).

ويقول المراقبون وأعضاء حزبه أن الحريري من غير المرجح أن يحتفظ بهيمنته المطلقة -تقريبًا- على التمثيل السني في انتخابات العام المقبل.

لم يعد سعد الحريري -الذي ورث حزب حركة المستقبل عن والده بعد اغتيال رفيق الحريري في عام (٢٠٠٥)- هو الزعيم الذي لا يشق له غبار لدى سنة لبنان، وقد بات الحريري بين مطرقة المتشددين الذين يقولون أنه يتنازل كثيرًا، وسندان حزب الله الذي يعتبر الحريري ذراع ألد أعداء إيران في المنطقة؛ الرياض.

■ موقف غير عادي:

كان أشرف ريفي -رئيس الأمن السابق ووزير العدل- قد هجر معسكر الحريري، بسبب ما أسماه: «الانحناء أمام إرادة حزب الله»، وقال أن مستقبل حزب حركة المستقبل مظلم!

يعتبر ريفي أحد الشخصيات الصاعدة في المجتمع السني التي قد تهدد قيادة الحريري.

في انتخابات مجلس مدينة طرابلس عام (٢٠١٦) هزم المرشحون المدعومون من قبل ريفي قائمة الحريري؛ والتي حظيت بدعم من قادة محليين آخرين بمن فيهم رئيس الوزراء السابق نجيب ميقاتي.

في مقابلة مع«ميدل إيست آي» أكد ريفي على أنه منحاز إلى موقف فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، عندما اختارت حكومة فيليب بيتين تسليم فرنسا إلى النازيين، في حين قاد الجنرال شارل ديجول حركة مقاومة من لندن.

يؤكد حزب الله من جهته أنه لا يريد السيطرة على لبنان، وأنه أرسل مقاتليه إلى سوريا لحماية الشعب اللبناني من تهديد الإرهاب.

لكن ريفي يلوم حزب حركة المستقبل من أجل «الموقف غير الطبيعي» الحالي الذي يجد السنة اللبنانيين أنفسهم فيه.

وقال ريفي لـ «ميدل إيست آي» -من منزله في حي الأشرفية في بيروت-: «إنهم يشعرون أن القيادة قد تخلت عنهم»، وأضاف أن: «القيادة التي منحوها كل ثقتهم وأصواتهم لم ترتقِ إلى المستوى المناسب من المسؤولية؛ فقد تصرفت وكأنها هُزمت واتخذت خيارات تتنافى مع خيارات المجتمع الذي تمثله!».

وأشار ريفي إلى أنه بالإضافة إلى فشل التعامل مع حزب الله، فشل حزب الحريري -أيضًا- في تلبية الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية للشعب، وأضاف: أن حركة المستقبل لبت احتياجاتها الخاصة عبر إعطاء حزب الله رئيسًا وأغلبية في مجلس الوزراء، في تلميح إلى عودة الحريري رئيسًا للوزراء.

من جانبه؛ قال عامر حلواني -عضو المكتب السياسي لحركة المستقبل- أن الحريري وافق على تعيين عون رئيسًا لأن الخيار الآخر هو: أن تنهار الدولة اللبنانية بعد أكثر من عامين من شغور منصب الرئاسة، وصرح لـ «ميدل إيست آي» بالقول: «في السياسة؛ أنت لا تختار بين الصواب والخطأ، بل تختار البديل الأقل خطورة والأقل خطأ».

كما أن الحريري هو الزعيم الرئيسي لحركة (١٤ مارس/آذار) المدعومة من الغرب والسعودية؛ والتي تشكلت بعد اغتيال والده في عام (٢٠٠٥) للمطالبة بانسحاب الجيش السوري من لبنان، وبالفعل انسحبت القوات السورية من لبنان بعد انتفاضة شعبية تلت وفاة الحريري.

وكانت دمشق قد هيمنت على الشؤون اللبنانية منذ نهاية حربها الأهلية عام (١٩٩٠).

وكانت كتلة الحريري قد بدأت هجومها على الحزب بعد اكتساحها الانتخابات في العام نفسه ؛إذ دعا حلفاءه إلى نزع سلاح حزب الله، ودفعوا بنجاح نحو تشكيل محكمة دولية للتحقيق في وفاة الحريري.

ومع ذلك؛ بدأ التحالف يتدهور عندما وجد حزب الله حليفًا في عون؛ الذي كان سابقًا معارضًا قويًّا للحكومة السورية.

وفي (٧ مايو/ أيار ٢٠٠٨) نشر حزب الله مسلحين في بيروت احتجاجًا على قرار الحكومة التي يقودها تحالف (١٤ مارس/آذار) بإزالة شبكة هاتف داخلية أنشأتها الجماعة.

شل المسلحون الحياة في العاصمة، وحرقوا محطة تلفزيون المستقبل التابعة للحريري، وقال حزب الله أن شبكة الهاتف كانت جزءًا أساسيًّا من ترسانتها ضد إسرائيل، وتعهد زعيمه حسن نصر الله بـ «قطع اليد» التي امتدت إلى أسلحة حزب الله.

غيرت هذه الأحداث ميزان القوى في لبنان، قال علوش -وهو زعيم بارز في حركة المستقبل- أن حزب الله كانت لديه طريقته في التعامل مع المعارضين السياسيين باستخدام أسلحته، أو التهديد باستخدامها.

■ يشعرون وكأنهم أقلية!

ونوه علوش إلى أنه منذ بدايات الإسلام كان السنة في السلطة، واعتبروا أنفسهم جزءًا لا يتجزأ من الأمة الإسلامية، وليس مجتمعًا هامشيًّا، ولكن عندما انهارت الإمبراطورية العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى صدموا بفقدان مركز سلطتهم في العالم!

في لبنان؛ أدى اغتيال رفيق الحريري، وتحول حزب الله إلى أقوى قوة في البلاد إلى شعور السنة بأنهم أقلية، وعزز الشعور لديهم بأنهم ضحية.

وأكد علوش أن الحرب في سوريا عززت هذا التصور.

قال علوش -وهو طبيب من مستشفى في مدينة طرابلس الشمالية-: «بعد عامين من الثورة، وبعد كل المجازر وتدخل حزب الله؛ فإن موقف السنة هو استهدافهم إقليميًّا، ليس فقط في لبنان».

وأضاف: أن السنة يشعرون أن هناك حربًا عالمية ضدهم، يشنها الغرب وروسيا وايران.

إن نظريات المؤامرة حول عمل طهران سرًّا مع واشنطن ضد المسلمين السنة قد غذت مشاعر معادية لإيران وللشيعة في المنطقة، وإن الشعور بالإحباط الذي يتملك السنة في لبنان هو -أيضًا- جزء من شعور أوسع من القمع منذ فشل الربيع العربي.

■ يشعرون أنهم ضحية!

أشار علوش إلى ازدواجية معايير الدولة في التعامل مع اللبنانيين الذين قاتلوا في سوريا؛ ففي حين أن حزب الله أصبح قوة حاسمة في الحرب الأهلية في البلد المجاور؛ فقد اعتُقل اللبنانيون السنة الذين انضموا إلى قوات المتمردين، وجرت محاكمتهم.

منذ بداية الصراع السوري شهد لبنان صعود الجماعات السنية المسلحة؛ بما في ذلك ظهور الشيخ أحمد الأسير؛ الذي حكم عليه بالإعدام في (٢٨ سبتمبر/أيلول) عقب اشتباكات دامية مع الجيش اللبناني.

وقال علوش أن التطرف المسلح يغذي العنف، مؤكدًا أن الحريري لم يشجع أو يوافق على هذه المجموعات، وأضاف: «إن موقفنا في حركة المستقبل كان دائمًا أن التطرف لا يمكن التعامل معه سوى باعتدال أكبر».

كما ندد ريفي بالحركات والشخصيات السنية المسلحة، قائلًا أنها لا تمثل المجتمع المعتدل، وأن المتطرفين جرى التهويل منهم بين السنة لأنهم ملأوا الساحات العامة، في حين بقي المعتدلون في المنزل، وأضاف ريفي: «لكن الانحناء ليس اعتدالًا، بل هو انتحار!».

لكن علوش حذر من أن حمل السلاح ضد حزب الله لن يكون فعالًا، وقال أن الهدف من الصراع مع حزب الله هو: البقاء دون استسلام، معترفًا بالقيود المفروضة على حزبه.

وبحسب علوش؛ هناك حلان ممكنان لأسلحة حزب الله: اتفاق دولي من نوع ما، أو هزيمة أحد الجانبين في صراع طائفي إقليمي، وأضاف: «في كلتا الحالتين لن يكون دورنا في لبنان مؤثرًا؛ ما لم يكن هناك تسليح وتمويل للجماعات السنية في لبنان، وفي هذه الحالة سنسير نحو حرب أهلية مدمرة للبلاد».

وأشار علوش إلى أن خصوم الحريري من السنة رفعوا سقف التوقعات، ولكنهم فشلوا في تقديم أي حلول فعلية!

ومع ذلك، رفض ريفي فكرة أن التصدي لحزب الله سيؤدي إلى حرب أهلية، وقال: «البديل هو: الدولة، وليس الميليشيات، ولا أستطيع الموافقة على الانحناء بحجة أن حزب الله يمتلك أسلحة».

تعليقًا على ذلك؛ قال عبد الغني عماد - أستاذ علم الاجتماع في الجامعة اللبنانية - أن تغير ميزان القوى وضعف الدولة والتوترات الطائفية غير المسبوقة؛ جعلت السنة يشعرون أنهم ضحايا للظلم، وأضاف في حديثه مع «ميدل إيست آي»: «مثل كل اللبنانيين، يريد السنة العدالة والمساواة، ولكن نظرًا لهذا التوتر الطائفي فإنهم يشعرون أن هناك تمييزًا ضدهم».

▪ الدور السعودي:

سرت شائعات في طرابلس تفيد بأن قطر قد تكون وراء تمرد ريفي السياسي، لكن رئيس الأمن السابق ينفي أنه يتلقى أموالًا من الدوحة، وقال أن السنة في لبنان لا يزالون يتطلعون إلى السعودية والإمارات لقيادة المنطقة، قائلًا: «نأمل أن يعود الانسجام إلى الخليج»، ومناشدًا قطر بمراجعة سياساتها للمساعدة على إنهاء الأزمة.

كان الحريري - الذي وقف إلى جانب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في حديقة البيت الأبيض في (يوليو/ تموز) الماضي - قد أكد دعمه جهود الوساطة الكويتية في أزمة الخليج، داعيًا إلى الحوار، وامتنع عن انتقاد الدوحة.

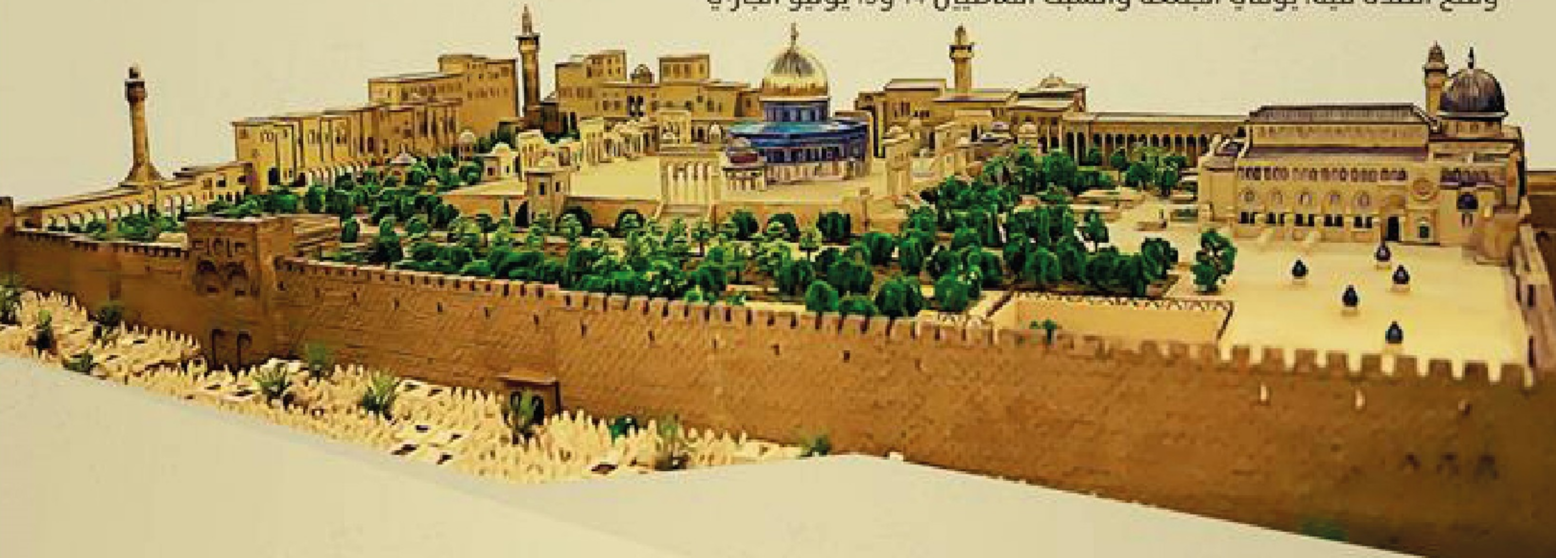
وفي الوقت نفسه؛ يقول المحللون أنه في ظل هيمنة حزب الله يبدو أن المملكة تغير نهجها تجاه لبنان، فبينما كانت الرياض تدعم الحريري -ووالده قبله- في مواجهة حزب الله؛ ألغت السعودية في العام الماضي منحة بقيمة (٣ مليارات) دولار للجيش اللبناني، وحذرت مواطنيها من زيارة البلاد، وكان ذلك علامة على أن المملكة تبتعد عن الانخراط في الشؤون اللبنانية، واعتبار البلد دولة معادية بسبب التمدد الإيراني، ومع ذلك على الرغم من انحسار دور السعودية لم تجد قطر بعد موطئ قدم قوي في المشهد السياسي اللبناني.

واعترف عماد - أستاذ علم الاجتماع - بأن علاقات الرياض بالحريري مربكة! وقال أن السعودية تعمل الآن بصفة مراقب أكثر من لاعب في لبنان، دون أن تضع وزنها خلف الحريري.. «هل تخلت عنه؟ ثم من هو حليفهم البديل؟».. يتساءل عماد! وأشار إلى أنه لا يعتقد أن ريفي هو رجل السعودية الجديد في لبنان، قائلًا أن حركة المستقبل لا تزال الحزب السني الوحيد الذي يتمتع بشعبية واسعة.

أخيرًا؛ أعرب علوش عن أسفه لأن علاقات الحريري بالرياض ليست كما كانت عليه من قبل، لكنه رفض انتقاد المملكة، مشيرًا إلى أنها وقفت إلى جانب لبنان خلال الأوقات الصعبة.

المسجد الأقصى...تاريخ من الانتهاكات الإسرائيلية

تعرض المسجد الأقصى، بمدينة القدس، منذ احتلاله في العاشر من يونيو عام 1967 لسلسلة طويلة من الانتهاكات الإسرائيلية. وكان آخر هذه الانتهاكات، إغلاق المسجد، ومنع الصلاة فيه، يومي الجمعة والسبت الماضيين 14 و15 يوليو الجاري



1967

استولت سلطات الاحتلال على مفاتيح **باب المغاربة**، وهو أحد الأبواب العشرة المفتوحة في المسجد الأقصى

1969

أضرم **دنيس ميشال روهان** متعصب يهودي من أصول استرالية، النار في مسجد القبلة الذي أنشئ بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب سنة 636 ميلادي، ما أدى إلى حرق الحائط الجنوبي **ومنبر صلاح الدين الأيوبي**

1982

حاولت مجموعة سرية يهودية **تفجير** مصلى قبة الصخرة، لكنها أخفقت. وفي العام نفسه نجح **متطرف يهودي** في **اقتحام** المصلى **وإطلاق النار**، فقتل فلسطينيين اثنين

1984

أعلن عن كشف خلية سرية في سلاح الجو في الجيش الإسرائيلي، كانت تخطط لقصف المسجد الأقصى من الجو

1990

احتشد الفلسطينيون في أكتوبر 1990 في المسجد **لصدّ المستوطنين** الذين أعلنوا عن نيتهم وضع حجر الأساس لبناء الهيكل الثالث داخل المسجد

1996

مذبحة الأقصى الثانية: اندلعت عندما أعلن عن فتح نفق في محيط المسجد الأقصى، وقد اندلعت على إثر ذلك هبة النفق، قتل فيها 63 فلسطينياً

2000

اندلعت شرارة الانتفاضة الفلسطينية الثانية من قلب المسجد الأقصى، عندما **اقتحم ساحته اريئيل شارون**

2010

افتتح في العام 2010 "كنيس الخراب" وهو **أكبر كنيس** في البلدة القديمة ولا يبعد سوى أمتار قليلة عن المسجد

2015

شهد هذا العام أشرس محاولة إسرائيلية **لفرض مخطط التقسيم الزماني والمكاني** على المسجد، وقد شهد أيضاً **حظر** الحركة الإسلامية في الداخل، وحظر ما أسمته المخابرات الإسرائيلية "تنظيم المرابطين والمرابطات". **وتوقف مشاريع إعمار المسجد الأقصى** ومنها مسيرة البيارق ومشروع مصاطب العلم في المسجد الأقصى

2016

شهدت **اقتحامات المستوطنين** التصعيد الأكثف في 2016، إذ وصل عدد المستوطنين الذين اقتحموا المسجد الأقصى خلال العام الماضي ما يقارب **14 ألف** مستوطنا

ارتفاع عدد المبعدين عن المسجد الأقصى ما يقارب **258 فلسطينيا** منهم 23 سيدة و11 من موظفي دائرة الأوقاف

وصل عدد الحفريات في محيط المسجد الأقصى **63 حفرية متوزعة** على الجهات الأربعة في محيط الأقصى

2017

إغلاق المسجد ومنع الصلاة فيه: أغلقت إسرائيل المسجد ومنعت الصلاة فيه، يومي الجمعة والسبت الماضيين 14 و15 يوليو الجاري، بذريعة وقوع عملية إطلاق نار نفذها 3 فلسطينيين أسفرت عن مقتلهم، ومقتل شرطيين إسرائيليين اثنين